أساليب المنهج النبوي في تعليم المرأة [الخصائص والأسرار]

إعداد الدكتورة

فريدة محمد علي حسن

أستاذ مساعد وقائم بأعمال رئيس قسم البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات – القاهرة

المقدمة

لقد أرسل الله رسوله هدي ورحمة للعالمين، وكانت مهمته الأولي هي التربية، قال تعالي :" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٢)"[١]

وقد أدرك الصادق المصدوق طبيعة إرساله، والصدق الذي بعث من أجله فقال " إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا"[٢].

وسار النبي الأمين نحو تحقيق هدفه مستعينا بأساليب تربوية متعددة، ألهمه إياها ربه جل وعلا، إذ قال في حقه" وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى"[٣]، " وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) }[٤] .

وقبل بعثته (صلى الله عليه وسلم) مرت به العديد من التجارب الشخصية التي أثقلته برصيد من الخبرات، فقد كان مصدقا في قومه، مستشارا لديهم في كل أمور حياتهم، فتعامل مع كل حالة بما يناسبها، فتمكن من تعليمهم وسياستهم مع قسوة قلوبهم، وجفاء طباعهم، ونفورهم، فاحتمل ما فيهم من جفاء وغلظة، وصبر علي أذاهم، حتي أصبحوا خير أمة بعد أن لم يكن لهم قيمة ولا وزن .

وجاء في منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) وهديه أساليب وطرائق متنوعة، بما يتناسب مع كل حالة، وما يدفع السأم والملل عن النفوس،

---

[١] الجمعة ٢ .

[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب : الطلاق ، باب : بيان أن طلاق امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية ، ٢/٤٩٧ ـ ٤٩٨ ، ح ١٤٧٨ .

[٣] النجم ٣.

[٤] النساء ١١٣ .

وكان لتعليم المرأة نصيب من هذه الأساليب، وتلك الطرائق، حيث صارت المرأة في ظلال الإسلام الوارفة داعية ومجاهدة في ساحات القتال، وكانت شريكة للرجل في كل ميادين الحياة بعد أن لم يكن لهن شأن ولا قيمة بين الأمم.

ـ وصنع الإسلام من تلك المرأة المفطورة علي الجلد والصبر مسلمة بحق، لديها القدرة علي تحمل تبعات الدعوة، مهما كانت خطورتها، تصبر وتحتسب فراق أحب الناس إلي قلبها، محتسبة إياهم شهداء في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه، كما صنع منها الفارسة المغوارة التي تضرب ببسالتها الأمثال، شأنها شأن الرجل، فكان هذا الدين الحنيف مفترق طرق في حياة المرأة، سجلت ببسالتها وروعتها أنصع الصفحات وألمع المواقف في تاريخ الدولة الإسلامية التليد .

وما بين قراءة في تاريخ المرأة الناصع الذي مد بجذوره في تاريخ الدولة الإسلامية في أزهي عصورها، واعتلت فيه آفاق الرقي والتحضر بما غرسه فيها معلمها وقائدها ونبراسها المضئ سيدنا وحبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ـ وبين حاضر تتقاذف فيه المرأة المسلمة تيارات التغريب الأجنبي، والتشدد الإسلامي، فتجرها الأولي بعيدا عن ساحة الدين ،وتزين لها البعد عن ساحة العقيدة، والخلاص من الشرائع، والالتزام بالأوامر، وتسحبها الثانية إلي جدران مظلمة خانقة، تكبل ملكاتها، وتئد مواهبها، وتقيد عطاءها بأسوار من سوء الفهم، وتعود بها إلي عصر الجاهلية والضلال، متهمين الإسلام بما هو برئ منه في تقديره للمرأة، وإعدادها لحمل المسئولية .

ويحاول هذا البحث أن يخرج بالمرأة من ذلك الخلط الذي يزينه خصومنا لاجتواء عقولنا بما يستهوي الأذواق، ويدغدغ المشاعر

والأحاسيس، بتقديم نماذج للمرأة المسلمة التي صنعت علي يد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبتربيته، وتوجيهه .

وإذا كانت الصحابية التي تلقت أمور دينها ودنياها عن الصادق المصدوق(صلى الله عليه وسلم) الذي لا ينطق عن الهوي هي النموذج الذي نقتدي به، ونتمثله في نسائنا، ونبحث عنه في تربية بناتنا، فما هي الوسائل التي انتهجها النبي (صلى الله عليه وسلم) في تعليمه لذلك النموذج ولتلك القدوة ؟؟

ويحاول البحث أن يجمع عددا من الوسائل التي تجلت في تعليمه (صلى الله عليه وسلم) لنساء المسلمين، لعلنا نتمثلها، ونقتدي بها في تربية بناتنا، ونتمثل بها في تقويم أنفسنا، ليعود لمجتمعنا ما كان ينعم به من تماسك أسري، ومجتمع متلاحم الأركان، قوي البنيان، ملتحفا بشمائل محمدية ضد من يتربصون بأمتنا ومجتمعنا .

وبالنظر والمدارسة لقبس من أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) التي عني فيها بالمرأة وتربيتها وإعدادها لتكون نواة للأسرة المسلمة، وجدت أن هناك أساليب متعددة حملها المنهج النبوي في تعليم المرأة .

فجاء بحثي هذا بعنوان " **أساليب المنهج النبوي في تعليم المرأة دراسة في الخصائص والمزايا** " .

وجاء البحث في مقدمة وستة مباحث، وخاتمة

أما المقدمة، فقد تحدثت فيها عن سبب اختيار الموضوع، والخطة التي سار عليها البحث .

وكانت المباحث بعنوان :

١ – أسلوب ضرب المثل

٢- أسلوب النصح والإرشاد

٣- أسلوب الترغيب والترهيب

٤- أسلوب طرح السؤال

٥- أسلوب التعريض

٦- أسلوب الحوار

"وعلي الله قصد السبيل، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب .

المبحث الأول

أسلوب المثل في حديث النبي عليه السلام للمرأة [خصائصه ومزاياه]

أسلوب ضرب المثل

تعريف المثل :

قال في اللسان : "والمثل والمثيل كالمثل، والجمع : أمثال، والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله"[١].

وقال ابن فارس : "الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل علي مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره، والمثل : كشبه وشبيه"[٢] .

وفي الاصطلاح : "المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر مشابهه ليبين أحدهما الآخر.[٣]

***وللأمثال في الكلام أهمية جليلة، وفوائد لا تنكر، ومكانه لا تباري، ولها تأثير عجيب علي السمع، وتقرير غريب في العقول، "ويجتمع في المثل مالا يجتمع في غيره من الكلام من إيجاز اللفظ، وإصابة المعني، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة"[٤] .**

ولما كان الهدف من ضرب الأمثال في القرآن الكريم : التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في

---

[١]اللسان لابن منظور، مادة (مثل) ،ط دار صادر، بيروت .

[٢]معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابلى الحلبى، ط ٢ ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .

[٣]المفردات في غريب القرآن ٢٦٤ لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالرقيب الأصفهاني،تحقيق: محمد سيد كيلاني، : ط : دار المعارف

[٤]مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميدانى، ١ /٨٧ ، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط عيسى البابى الحلبى .

صورة المحسوس، فقد حظيت الأمثال بعناية النبي(صلى الله عليه وسلم)، فنراه يتمثل بأمثال غيره من الأنبياء قبله فيقول " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولي : إذا لم تستح فاصنع ما شيءت "[١]

كما تمثل بالشعر أيضا، وذلك بقول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

. وللأمثال في السنة النبوية المطهرة كما لها في القرءان الكريم أهداف تربوية جليلة، وقيم تعليمية عديدة، لذا يجب علي العقلية المسلمة أن تحسن تأملها، والتفكير فيها لاستخراج مكنوناتها، والوقوف علي أهدافها،" وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"[٢].

أسلوب ضرب المثل

الأمثال النبوية أسلوب قوي من أساليب البيان النبوي، يبرز ما في النفس، وما خفي من الحس، كما يعطي صورة للمعقول في هيئة المحسوس .

ولضرب الأمثال في العربية غاية عظمى، وأيضا من غاية الأمثال في بيان النبوة، توضيح ما غمضت صورته، وتقريب ما بعد عن الأذهان بتصويره في صورة محسوسة مشاهدة، وهو مسلك من مسالك تهذيب النفس وتربيتها علي الفضيلة والخير، ومنعها عن الإثم والفحش، وله أثر

---

[١]أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأدب ، باب الحياء، ٢٥٢٤ رقم ٤٧١٧ ،

[٢]سورة العنكبوت من الآية٤٣.

في تربية العقل علي كيفية التفكير الصحيح الممنهج من خلال قياس ما قيل فيه المثل بما ضرب لأجله .

* وقد جاء المثل في تعليم النبي (صلى الله عليه وسلم) للمرأة أسلوبا فاعلا ومؤثرا في منظومة الأخلاق والقيم والفضائل التي حرص (صلى الله عليه وسلم) علي تعليمها للمرأة .

* وإذا كانت أمثال الأمم تمثل مرآة تعكس عليها أخلاقها وعاداتها ومعتقداتها، فلا غرابة من أن تأتي أمثال البيان النبوي أعلي شأنا، وأكثر بيانا، وأعمق فكرا، وأجل معني .

****

الحديث الأول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : مَجَالِسَكُمْ، هَلْ مِنْكُمْ الرَّجُلُ إِذَا أَتَي أَهْلَهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَرْخَي سِتْرَهُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُحَدِّثُ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ بِأَهْلِي كَذَا وَفَعَلْتُ بِأَهْلِي كَذَا ؟ فَسَكَتُوا، فَأَقْبَلَ عَلَي النِّسَاءِ فَقَالَ : هَلْ مِنْكُنَّ مَنْ تُحَدِّثُ فَجَثَتْ فَتَاةٌ كَعَابٌ عَلَي إِحْدَي رُكْبَتَيْهَا وَتَطَاوَلَتْ، لِيَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْمَعَ كَلَامَهَا، فَقَالَتْ : إِي وَاللَّهِ إِنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ وَإِنَّهُنَّ لَيَتَحَدَّثْنَ، فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَا مَثَلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ؟ إِنَّ مَثَلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، مَثَلُ شَيْطَانٍ وَشَيْطَانَةٍ لَقِيَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ بِالسِّكَّةِ فَقَضَي حَاجَتَهُ مِنْهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِم قَالَ : أَلاَ لاَ يُفْضِيَنَّ رَجُلٌ إِلَي رَجُلٍ وَلاَ امْرَأَةٌ إِلَي امْرَأَةٍ }[١]

بين يدي الحديث

إن تعليم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)لأمته لم يقتصر علي أمور العقيدة فحسب، بل شمل كل تفاصيل الحياة وأدق ما فيها، ومن ذلك خصوصية علاقة الرجل بامرأته، فهما نواة الأسرة، فمتي قويت البذرة قوي النبات وترعرع، فيضع لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث أسسا ثابتة ومبادئ راسخة علي الزوجين الالتزام بها، ويضرب لنا أروع المثل للتنفير من كشف ستر الحياة الزوجية، وما ذلك إلا لسوء عاقبة هذا الأمر وضرره البالغ علي الأسرة والمجتمع بأسره .

---

[١]أخرجه أبو داوود فى سننه ، كتاب : النكاح / باب : ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله ٢ / ٢٥٣ . ٢٥٤ ح ٢١٧٤ ، أحمد ٢/ ٥٤٠ . ٥٤١ ، وإسناده ضعيف لجهالة الطفاوى ، والمجهول هو : من لم يعرف وصفه .

بلاغة ضرب المثل :

تبدأ النظرة الأولي لهذا الحديث في المكان الذي ألقي فيه، إنه المسجد ذلك الجامع والجامعة الذي تدار فيه شيءون البيت كما تدار شيءون الدولة، والنظرة الثانية إلي جمهور هذا المسجد، إنهم الرجال والنساء فهما جناحا الأمة، ولا يمكن الاعتماد علي جناح دون الآخر،وهذا الحديث يلجم من ينادون بعدم ذهاب المرأة إلي المساجد، وفي التعبير بإقبال النبي (صلى الله عليه وسلم) بوجهه كناية عن أهمية المعنى الذى سيلقى عليهم، كما يوحي بشدة حرصه(صلى الله عليه وسلم) علي أمته لضرورة المسألة التي سيتحدث بشأنها .

واستهل النبي (صلى الله عليه وسلم)الحديث بقوله "مجالسكم "، والتقدير "احذروا مجالسكم "، فحذف جملة "احذروا" تعجلا في إنقاذهم من مهالكها، فتخطى جملة التحذير حتى يشعرهم بمدى الخطر اللاحق بهم، تماما كمن رأى حريقا فلم ينطق بسوى الكلمة "حريقا"، ولم يقل " اطفئوا حريقا" أو غيره، سرعة في الإدراك من الخطر، فالمجالس هي مواطن الداء وبيت القصيد كما يقولون، فعند تقديم ذكر المحل يسترجع الحضور، ويستحضرون ما يدور في هذه المجالس، وفي جمعها وإضافتها ما يوحي بكثرة هذه المجالس وشدة حرصهم عليها، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يتحدث في مسألة وهو يعلم يقينا بتحقيقها، ولكنه المعلم والمربي المرشد، لا يوجه بإلقاء اللوم المباشر أو التيقن بالعقل ،بل يطرح عليهم المسألة ليستنطقهم ويجري الجواب علي ألسنتهم، فبدأ بالقوامين علي أسرهم ومن ينوط بهم الحفاظ علي أعراضهم وصيانة أسرار بيوتهم، فقال : "هل منكم

إذا أتي أهله أغلق بابه، وأرخي ستره، ثم يخرج فيحدث الناس فيقول :فعلت بأهلي كذا ،وفعلت بأهلي كذا ؟ فسكتوا.

نظر إلي الجزء الأول الذي يتم في حيطة تامة وستر بالغ من خلال جملة الشرط وأركانها، فهو يحكم إغلاق الباب وإرخاء الستر، تلك العبارة الماتعة المانعة، المعبرة عن أدق تفاصيل الحياة الزوجية بصورة يغلفها الحياء، ويصونها عن هتك ماء وجوههم كما يهتكون أسرار بيوتهم ، وبعد أن تنتهي تلك المقدمة يقرهم على أمر اعتادوا وفطروا عليه، ثم يتدرج النبي في طرح المسالة متخذا أداة العطف (ثم) لمناسبتها لتراخيهم في مجالس السمر، فلابد أن هناك فاصلا زمنيا بين الفعلين ،وأكد هذا الفاصل التعبير بالمضارع (يجلس) ،وظرف الزمان (بعد) ،واسم الإشارة (ذلك) ،وكان النبي يثقل عليه أن ينطق بالعبارة التالية فيتراخي في نطقها لصعوبتها، ونفوره (صلى الله عليه وسلم) منها، وكني عن الحديث المقبوح مشيرا إليه بقوله "فعلت كذا وفعلت كذا" وكان تكرار الجملة مناسبا لتكرار الحديث في جلسات السمر، فدأب هذه المجالس هو الحكي والتطويل، ولكن هل كشف الرجل لعورة نفسه وزوجته من قبيل التباهي أم من قبيل جهله بعاقبة هذا الأمر؟؟ أم هو أمر اعتادوا عليه في الجاهلية ولم يدركوا حرمته ؟ قد يكون الأمر لكل هذه الأسباب مجتمعة ،ولم يكن لديهم رد علي هذا التساؤل إلا السكوت ،وربما كان داعيهم من سكوتهم هو الخجل من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن أنفسهم ،فقد يخدع الإنسان نفسه ولما يظهر له انكشاف أمره يذوب خجلا وحياء، ثم أقبل النبي(صلى الله عليه وسلم) علي النساء لكونهن مشاركات في هذا الفعل ،وقال مستفهما :" هل منكن من تحدث " وكان سؤال بنفس صيغة الاستفهام الموجه للرجال

المستدعية للتصديق، إلا أن النساء اقتدين بالرجال في السكوت ،فإذا كان الأمر مخجلا بالنسبة للرجال فهو لهن أشد خجلا وحياء ،وإن كان سكوتهم وسكوتهن مشعرا بالفعل وأن الجواب جاءه من جهة أخري، حيث كانت تسمع الحديث فتاة لم تزل علي فطرتها، وتطوعها يكشف ما تعلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يدل علي أن الأمر كان متفشيا إلي درجة أن تلك الفتاة كانت تسمع تلك الأحاديث وتعلم بها، فقالت " يارسول الله إنهم ليتحدثون وإنهن ليتحدثن "، يالها من فتاة شجاعة في الحق لا تخشي بطش قومها وتعنيفهم، ولم تهب حديث الرسول– صلى الله عليه وسلم –، كما أنها عبرت بأسلوب بليغ يفيض بيانا وعذوبة وإيجازا، كما جاءت عباراتها مرتبة، ووفقا لترتيب التساؤل فبدأت بالرجال " إنهم ليتحدثون"مؤكدة عبارتها بأكثر من مؤكد، لئلا ينكر عليها أحد مقولتها، ثم عطفت فعلة النساء فقالت "وإنهن ليفعلن "، بنفس التأكيد السابق، يا لها من فتاة تطاولت، وجثت علي إحدي ركبتيها لتقول كلمة حق في أمر استحي منه الرجال وخجلت منه النساء، فقد يجري الله الحق علي لسان من لا يتوقع منهم، ومن ليسوا مطالبين به .

فلما ازداد تيقن النبي (صلى الله عليه وسلم) من شيوع هذا الأمر ضرب لهم أروع الأمثال في التنفير من هذا الصنيع، ولكن علينا أن نلتمس وسائله– صلى الله عليه وسلم – وطريقته في التربيه :حيث بدأ مستفهما قائلا " هل تدرون ما مثل من فعل ذلك "قاصدا تنبيه الحضور، وإثارة الذهن، لتلقي كل ما يقال من حقائق تؤدي إلي قبولها، وإنكار هذه الفعلة ،والإقرار بشناعتها ،والخجل منها واستنكارها واستبعادها، "المهم أن يلتفت

السامع ويتنبه ،ويستثار فكره وينبعث حسه ،ويواجه هذه الحقائق، ثم ندعه يتعامل معه بوعيه، ويتدبرها بفكره، وينتهي فيها إلي ما يراه "[١].

ولم ينتظر النبي – صلى الله عليه وسلم – منهم جوابا، ولم يكن يهدف.إلي ذلك ،ولكنه نهج تعليمي يقصد منه العبرة والعظة وتعليم أصعب الدروس بأيسر الطرق، فقال مؤكدا كلامه لأهمية الأمر وخطورته، أن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة قضي حاجته منها والناس ينظرون إليه "، فليس هناك ما هو أبلغ من هذا التمثيل البغيض للرجل وامرأته وقد سترهما الله فيما أحله الله لهما إلا أنهما أبيا إلا الفضيحة وهتك الستر الذي أسدله الله عليهما، يا له من مثل بغيض كريه حين يتمثل الرجل نفسه بشيطان والمرأة تري نفسها في صورة شيطانة وهما علي قارعة الطريق، فقد اجتمعت لهذا المثل قبائح ثلاث تدعو إلي التنفير من هذ الفعل القبيح، وهي:

١- تمثيلهما بصورة شياطين، وهل هناك ما هو أقبح من صورة الشيطان وإن لم نرها، إلا أنه ضرب مثلا لأبشع الصور وأشدها نفورا.

٢- كون جماعهما يتم علي قارعة الطريق ،كيف يمكن قبول هذا التصوير مع ما أشار له الحديث في بدايته من تحري الستر بغلق الأبواب وإرخاء الستر قبل الشروع في هذا الأمر.

٣_ كون الناس ينظرون إلي ما يفعلانه.

---

[١] دلالات التراكيب دراسة بلاغيه د/ محمد محمد أبو موسى ص ٢٤٥مكتبة وهبه القاهره ١٤٢٩هـ _م ٢٠٠٨

إنه جمع لهم القبح الذاتي المتمثل في صورة كل منهم بشيطان، والقبح الداخلي بفقد الأمن والطمأنينة بتصويرهم علي قارعة الطريق، وقبح مجتمعي ،فهم يؤذون المارة الذين ينظرون إلي هذا الفعل القبيح بما يشيع الفحش والسوء في المجتمع .

ثم أكد النبي – صلى الله عليه وسلم – ما أكده المثل فقال " ألا لا يفضين رجل إلي رجل، ولا امرأة إلي امرأة "، وقد يتبادر إلي ذهن البعض أن المنهي عنه هو سمر المجالس العامة، أما الأحاديث الخاصة بين اثنين فلا حرج فيها، لذا أكد النبي – صلى الله عليه وسلم – بنهية هذا حرمة هذا الفعل علي جميع الوجوه والحالات تأكيدا يليق بالحال .

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم)"إنهم يتحدثون، وإنهن ليتحدثن" أتى في كل جملة بأكثر من مؤكد(إن، الضمير المتصل)، وزاد مؤكدا باللام مع النساء(ليتحدثن)، فالفعل المضارع في الجملتين قام بمعنى التجدد والحدوث مع الرجال والنساء، أما زيادة اللام مع النساء فقد ناسبت المقام، فمجالس النساء كثيرة، وإنهن ليتوددن لبعضهن متحدثات في شتى المجالات، ولابد في مجالسهن من غيبة ونميمة وخوض فيما لا يحل، إلا من رحم الله، ومن هنا أتى حديثه(عليه السلام) مع النساء مؤكدا أكثر من الرجال، لفراغهن ونقص دينهن وعقلهن.

وقد آثر النبي (صلى الله عليه وسلم) التعبير بالظاهر في قوله" هَلْ تَدْرُونَ مَا مَثَلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ؟ إنَّ مَثَّلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ..." دون المضمر " إن مثله"، لاحتواء المعبر به على الإشارة والبعد والخطاب في "ذلك"، وفيها توكيد أكثر، فالإشارة تعبر عن الحضور والظهور، والخطاب أيضا، وهما

آكد وأقوى، عكس الغيبة، فهي أضعف وأقل، وفرق أن تخاطب بالشيء مباشرة وتدرك عواقبه، وأن يبلغك به أحد لأنك كنت غائبا.

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم) " ألا لا يفضين) بدأ بأداة التنبيه(ألا) لتينبه الذهن إلى ما سيلقى إليه، فيرسخ في العقل، ويقر في الذهن، ثم أتبع التنبيه بالنهى المؤكد (لا يفضين) وهو توكيد مشدد على قدر الخطورة، فالحرف المشدد بحرفين، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وهذا يؤكد حرصه (صلى الله عليه وسلم) على إنقاذ أمته من مهالك الخطر، ونيران المجالس.

فعليك أيها الرجل أن تقود زوجتك إلي طريق العفة، وأن تكون قدوة لها في السلوك المستقيم فلا تفش لها سرا، ولا تفضح لها سترا، وعليك أيتها المرأة أن تصوني نفسك وزوجك من أن تنشر أسراركما علي الناس ،لما في ذلك من خطورة علي السامع والمتكلم والمجتمع بأسره .

فمن خلال ضرب المثل وما له من قوة في التأثير علي توضيح المعاني في صورة مجسمة وما فيه من تفرد في الأسلوب يبين عما في النفس، وما غاب عن الخاطر وعالج قضية شائكة، ونفر من فعل مشين وعادة دنيئة، بأن شبه مرتكبوه بأقبح صورة وأقذر منظر، فتلك العلاقة مبنية علي الستر، قائمة علي الكتمان ،فمن يهتك سترها ويفشي أمرها يستحق هذا التحقير وذلك التشبيه، فهو من شرار الناس كما صرح بذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال " إن من أشر الناس عند الله منزلة الرجل يفضي إلي امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها " [١]

****

[١]هامش صحيح مسلم ٤٥٦/٢

الحديث الثانى

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَابْنُ أَبِي خَلَفٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ جَمِيعًا عَنْ زَكَرِيَّاءَ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ عَبْدٌ حَدَّثَنِي زَكَرِيَّاءُ بْنُ عَدِيٍّ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ عُتَيْبَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

"جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَي رَسُولِ اللَّهِ (صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ نَذْرٍ، أَفَأَصُومُ عَنْهَا ؟ قَالَ : أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَي أُمِّكِ دَيْنٌ فَقَضَيْتِيهِ أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكِ عَنْهَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ : فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ".[1]

بين يدي الحديث :.

يعرض لنا هذا الحديث الشريف حالة صحابية جليلة ماتت أمها بعد أن نذرت صوما، ولم تصمه، فجاءت تلك الابنة البارة إلي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتسأله إن كان يجوز لها أن تصوم عن أمها ما نذرته ؟ فضرب لها (صلى الله عليه وسلم) مثلا يجيب عن سؤالها، فسألها إن كان علي أمها دين فقضته، أيقضي ذلك عنها وتبرأ به ذمة أمها؟، فلما أجابت ب(نعم)، حينها أمرها النبي (صلى الله عليه وسلم) أن تصوم عن أمها .

التعليم بضرب المثل :.

أي بر هذا الذي جعل هذه المرأة تهتم بأمر أمها وما عليها من نذر بعد وفاتها؟؟، وأي رغبة عارمة في السير علي هدي ومعرفة في كل شيءون حياتهم؟ كيف لا، وبينهم الهادي والمعلم والرحمة المهداة، فهم

---

[1] صحيح مسلم كتاب الصيام ، باب قضاء الصيام عن الميت ، رقم١١٤٨ .

يلجأون إليه في كل كبيرة وصغيرة، فهو النبراس الذي يضئ لهم حياتهم، فالقت خبرا مؤكدا إلي النبي (صلى الله عليه وسلم) "إن أمي ماتت وعليها صوم " وذلك وفقا لحالها، وشدة حرصها علي أمها التي ماتت ولم تقض ما عليها من صوم قد نذرته .

وفي هذا التمهيد ما يبين فطنة هذه المرأة، وحسن بيانها، فأحسنت الابتداء، والتمهيد، والعرض، فأخبرت عن موت أمها في بداية الأمر بجملة مؤكدة، ثم انتقلت من بيان حال أمها إلي الغرض "وعليها نذر"، وفي جملة الحال يحدد الأمور بدقة، ثم ألقت بسؤالها قائله :" أفأصوم عنها "؟ وكأن جملة النداء، والجملة المؤكدة بعدها، ثم جملة الحال ـ هذه الجمل ـ قد قدمت لجملة الاستفهام، فإن كانت جملة الاستفهام هي المقصد من كلام المرأة إلا أنها قدمت لها بما يجليها، ويوضحها بصورة ظاهرة .

وجاء دور المعلم لما رأي حرص هذه الابنة علي أمها ،وقضاء ما عليها من دين، فسلك معها أسلوبا تعليميا، ولم يكشف لها عن الحكم مباشرة، لعلمه أن طبيعة هذه المسائل مختلفة عن غيرها فهي تريد يقينا فيما تسال عنه، ولها نفس قلقة بارة تحتاج إلي ما يزيل عنها هذا القلق، ولتهدأ نفسها بأن أمها قد برأت من نذرها، فضرب لها مثلا بأمر أكثر ورودا علي ذهنها لجريانه بين الناس فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أرأيت لو كان علي أمك دين فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها)؟؟ فعمد (صلى الله عليه وسلم) إلي نظير السؤال وشبهه، ولم يجبها عن سؤالها مباشرة، وذلك أسلوب تربوي قويم (فوصف الصوم بأنه دين علي غرار

وصف ماعلي الميت من أموال الناس بأنه دين، ففيه تنبيه إلي علة صحة قضاء حق الله عز وجل عن عبادات لزمت صاحبها"[1] .

ومن خلال ضرب المثل جعل النبي(صلى الله عليه وسلم) القياس القريب جوابا مقنعا، وانتزع الجواب من السائلة، وتم لها الإقناع ومعرفة الحكم الشرعي دون أدني شك، وزال عنها القلق من خلال تلك المحاورة السريعة .

وفي جملة " وَعَلَيْهَا صَوْمُ نَذْرٍ "، تقدم الجار والمجرور للخصوصيه، فهو خاص بأمها التى انتهت حياتها، كما يوحى التقديم أيضا بالشعور بالذنب والنقص، وهى تريد لها الدرجات العلا، فاستشعرت وجوب القضاء تخفيفا عنها، وكذا ورد التقديم في جوابه (صلى الله عليه وسلم) " لَوْ كَانَ عَلَي أُمِّكِ دَيْنٌ "، قياسا على قولها للإقناع، فالنذر حق لله، والدين حق للناس، وإذا كان حق الناس واجب القضاء، فحقوق الله أولى، فشبه حق الله بحق الناس في وجوب القضاء وهو أولى تقريبا للأفهام.

وقد عقب النبي(صلى الله عليه وسلم) هذا المثل الذي ضربه بأسلوب الأمر" فصومي عن أمك"، حتى يحملها أمانة أمها في وجوب القضاء عنها، وإلزامها بأداء النذر تخفيفا عن والدتها، ورفعة لها وقد انقطع عملها، فتدرج تحت الولد الصالح البار بوالديه بعد موتهما.

والذي قرب هذه المسالة هو ذلك المثل الذي شبه فيه حق الله بحق الناس في وجوب الأداء، ومن خلال هذا التقريب والتشبيه تفهم السائلة أن

---

[1] سبل الاستنباط من الكتاب والسنة _ دراسة بيانية ناقدة د محمود توفيق محمد سعد ، ١١٠ ط مطبعة الأمانة، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م .

دين الله تعالي أولي وأحق بأن يؤدي عن الميت، وكان أسلوب الاستفهام هو الأوفق في ضرب هذا المثل، لما فيه من إغراء للمخاطب علي الاستجابة، وحث عليها، فهو أمام سؤال يلزمه الإجابة عليه، كما أن فيه إشراكا للسائل في استخراج الحكم بنفسه، مما يجعله مشاركا في صنع الحكم لا مأمورا به، ومنفذا له، وفي ذلك احترام لعقلية السائل، وحثه علي إعمال عقله في تدبر المعني المتمثل له، فحين أقرت السائلة بما أراده الرسول(صلى الله عليه وسلم) من خلال القياس سهل عليها أن تستنبط الجواب علي سؤالها المطروح من خلال القياس . فضلا عما أفاده التعبير ب (أرأيت) من قيمة تنبيهية تقريرية، منحت الجمله الاستفهامية تميزا في الأداء، مما أسبغ علي المعني قوة في الأداء والنغم أوضحت المعني وأبرزته، مما نتج عنه إقناع السائلة والوصول إلي الجواب بنفسها .

ويريد المصطفي – صلى الله عليه وسلم – أن تقر السائلةبالجواب فيلجأ إليأسلوب الاستفهام ليحملها علي الإجابة فيقول : "أكان يؤدي ذلك عنها ؟ " وتكمن بلاغة التقرير وروعته من تنبيهه للمخاطب وإيقاظه لحقيقة ما سيلقيإليه، فيعمل فيه ذهنه ليجيب عن هذا التساؤل .

وأسلوب الاستفهام المقصود منه التقرير من الأساليب البلاغية الموجزه مما يتفق مع طبيعة الحوار وما فيه من محاورة ومراجعة وتشويق، فيكون أكثر إقناعا، وأقوي تأثيرا، وأقرب وصولا إلي المعني المنشود وهو الجواب.

وما كان من السائلة إلا أن تقر بما ألجأها إليه سؤال النبي(صلى الله عليه وسلم) بقوله :"أكان يؤدي ذلك عنها "؟؟ فقالت نعم "، فتعم روح الحوار، ويرقي الأسلوب من الرتابة إلي الحوار القائم علي المشاركة الفاعلة بين المتكلم والمستمع، مما يبعث نشاطا في النفس ويجدد روح

المشاركة في يقظة وانتباه، مما يجعل السامع يقرر هذه الحقائق فيطمئن لها قلبه ويأنس.

من هنا نري كيف استخدم النبي (صلى الله عليه وسلم) أسلوب ضرب المثل لإقناع تلك المرأة بوجوب قضاء الصوم عن أمها المتوفاة، فتدرج في جوابه ليصل بالحكم إلي درجة اليقين في قبوله، والعمل به، والانقياد له ، لأنه سلك به طريقة الإقناع من خلال الاستفهام التقريري، وقرنه بدليل مادي، وأقام عليه الحجة، كما دفع السائلة للنطق به فكان ذلك أوقع وأشد تأثيرا من الإجابة علي السؤال بالأسلوب الخبري المباشر، وكان ضرب المثل هنا الأسلوب الأمثل لدفع المرأة لسداد ما علي أمها من دين للمولي عز وجل، وذلك بقياسه بدين البشر فضرب لها مثلا بما هو معهود لديها ليكون أقوي وأيسر في الإقناع والامتثال.

****

أسلوب النصح والإرشاد في حديث النبي عليه السلام للمرأة

[خصائصه ومزاياه]

النصح والإرشاد

معني النصيحة

النصيحة في اللغة: الإرشاد إلى ما فيه النفع والصلاح، ومعني نصح ولده، أرشده إلي ما فيه نفعه وصلاحه، وتحري ما ينبغي له، ونصح قلبه: خلا من الغش، ونصح الشيء : أخلص، ونصح تلاميذه : أرشدهم ووعظهم .

وفي الاصطلاح : النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له"[1].

والإنسان دائما بحاجة إلي التوجيه والنصح والإرشاد بما يشد من أزره وينبهه إلي ما يغفل عنه، والمربي الناجح الحريص علي مصلحة من يربيهم يوجه براعمه إلي طريق الخير، ويبعد بهم ـ ما وسعه ذلك ـ عن مزالق الخطر ومكامن الشر بالنصيحة الصادقة المؤثرة والكلمة الطيبة المعبرة .

وهذا الأسلوب يحتاج مربيا حريصا أديبا كي تكون نصائحه وتوجيهاته مفيدة ومثمرة، وهو أسلوب حكيم اتبعه النبي – صلى الله عليه وسلم – في تعليمه للصحابة رضوان الله عليهم إذا رأي شيئا من أصحابه أو بلغه عنهم شيء، فلا يصرح بأسمائهم فيوجههم ويرشدهم إلي ما يلزم برفق شديد إلي ما يقوم سلوكهم ويهذب أخلاقهم .

---

[1] لسان العرب مادة نصح .

وقد فرض الإسلام التوجيه والنصيحة كوسيلة تربوية يستخدمها المربي مع من يربيه، والمعلم مع من يعلمه، والمسلم علي العموم مع إخوانه، وجعل النصيحة حق للمسلم علي أخيه المسلم ابتغاء للخير، قال تعالي " وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)"[١]، قال (صلى الله عليه وسلم)" الدين النصيحة"[٢]

وأسلوب النصح والإرشاد والتوجيه ليس منوطا به المربي فقط، بل لكل أطياف المجتمع دور فيه، من متعلم وولي أمر فالتربية جماع اهتمامات القيادة والأفراد؛ لذا جعله الإسلام مبدأ حيويا من مبادئ التربية.

وأداء النصيحة وحسن استقبالها من أخلاق ذوي النفوس الأبية والهمم العالية ،فلا يقدر علي أدائها وحسن قبولها دون تغير أو امتعاض إلا هم، خاصة وأن استقبال النصيحة أمر قد يكون فيه حرج أو إعراض لا يستوعبه إلا من أوتي عقلا واعيا ورغبة في الإصلاح طيبة،

وأداء النصيحة لا يقدر عليه إلا من اختصهم الله بهذا الفضل؛ لأن النصيحة قد تغضب الآخرين ممن لا يحبون توجيه اللوم لهم، مما يمثل عبئا ثقيلا علي القائم بها لا يتحمله إلا ذوو النفوس العالية، محتسبين ما يلاقوا من عناء عند الله تعالي –، فأصحاب النفوس الكبيرة هم فقط من يمتلكون شجاعة مواجهة الناس بأخطائهم، وإرشادهم إلي كيفية إصلاحها ونصحهم بعدم التمادي فيها وضرورة الكف عنها .

---

[١] العصر ١: ٣

[٢] أخرجه مسلم ١/٧٥ كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ٩٥/٥٥

وكل من له هم بأمور المسلمين وصلاح أحوالهم يدرك تماما مدي حاجة المجتمع إلي النصيحة، فهي من خصائص هذا الدين، ومن دعائم الأمة واستقرارها ،وسمة من سمات النضج الفكري لمن يقوم بها وكذلك لمن يستقبلها .

وقيمة النصيحة تكمن في محافظة الأمة علي صدارتها لجميع الأمم قال تعالي " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ "[1]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما أساس النصيحة التي يستقيم بها حال المنصوح فيستقيم عوده ويصلح أمره .

وعلي الصعيد المقابل فإن غياب النصيحة في مجتمعنا علامة من علامات التدني الإيماني لأفراده وإيذانا بأفول نجمها، وتداعي أركانها، أوغلبة الأمم عليها، ومنذر بتدهور استقرارها وفقدان أمنها وسلامتها، قال تعالي :" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَي لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَي ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) "[2]

وأسلوب النصح من الأساليب التربوية عالية القدر والمقام، بل لا نغالي إذا قلنا أنه وبحق من أشرف الأساليب وأرفعها وأقدرها علي التربية السليمة، وليس أدل علي ذلك من كونها الوظيفة الأساسية التي جاء بها الأنبياء لأقوامهم، راجين هدايتهم وإصلاح دنياهم ودينهم وتصحيح سبلهم .

---

[1] آل عمران من الآية ١١٠ .

[2] المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

فهي مهمة من أشرف المهمات التي يقوم بها الإنسان حيث إن فضلها يتجاوز مؤديها والقائم بها إلي المجتمع بأثره، فيعود نفعها علي الأمة الإسلامية بأكملها .

النصح والإرشاد

الحديث الأول

"حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ ،قَالَ : وَعَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ :السَّامُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا، قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ "[1].

بين يدي الحديث

هذا الحديث يمثل قيما أخلاقية عالية يغرسها المصطفي – صلى الله عليه وسلم – من خلال أمنا عائشة لتسري في المجتمع الإسلامي بأسره، وتضع دستورا في الفطنة والرفق ورباط الجأش، كما يعلمنا كيفية التعامل مع من يمكرون بنا ويكيدون لنا، وكيفية حجب النفس عن الطيش والانزلاق في سلك هؤلاء .

الأسرار البلاغية في الحديث الشريف :

إن اللسان يأبي أن ينطق إلا بما حوته القلوب، فهاهم اليهود ألد أعداء الأمة الإسلامية، وأحرصهم علي استئصال شأفتها والكيد لها، ومن

١–[1]صحيح البخارى " كتاب الدعوات باب قول النبى – صلى الله عليه وسلم – يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا " رقم ٦٤٠١

أبرز صفاتهم تلاعبهم بالألفاظ وتغييرهم من دلالاتها بما يتماشي مع مكنون أنفسهم وضغائن قلوبهم، ولم يفطنوا إلي من يلقون إليه عبارتهم إنه نبي الأمة الذي لا ينطلي عليه مكر ولا خداع، فلما حرفوا في تحية الإسلام وقصدوا الدعاء علي النبي – صلى الله عليه وسلم – بالموت وقالو " السام عليك "، فلما فطن – صلى الله عليه وسلم – لحقيقة ملفوظهم لم يستثر أو يغضب أو يعلن لهم عن اكتشاف حقيقة ملفوظهم، ولكنه تعامل معهم بنفس منطقهم ورد عليهم سامهم بهدوء شديد وذكاء أشد.

وجاء رده – صلى الله عليه وسلم – عليهم محذوف المبتدأ " وعليكم " ليلبس الأمر عليهم ويجعلهم يتشككون هل سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – ما قالوه فرد عليهم مقولتهم، أم أنه لم يسمع فكان رده السلام ؟

فضلا عن إفادة هذا الجواب لغايات أسلوبية عديدة منها

ـ أنه أقوي من التصريح بالرد، فالرد الصريح أمر في مقدور العامة، كما أنه – صلى الله عليه وسلم – رد عليهم الدعاء بالموت مع النأي عما لا يليق به – صلى الله عليه وسلم –، ومع حفظ هذا الجواب لخلق النبي المعهود من عدم التلفظ بما لا يليق أضاف من جهة أخري : تأليف قلب اليهود لعلهم يرجعون عما عهد عنهم من مكر وخداع .

ـ وإن كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد داري أمرهم وستره مع رده عليهم بما يليق، إلا أن القرءان الكريم فضح أمرهم في قوله تعالي "

وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) " [١].

والحق أن النبي (صلى الله عليه وسلم) طبق القرآن في سنته، وتعاليم الإسلام في أخلاقه، والتزم العدل حتى في ألفاظه، فلو تدبرنا رده ورد السيدة عائشة لوجدنا فرقا، فالنبي الكريم التزم القواعد الربانية في قوله تعالى:" فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ"[٢]؛ وَقَوْلِهِ تعالى:"وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها"[٣]؛ وقوله تعالى" وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ"[٤]، فعلمنا هنا أن العدل في اللفظ والمعنى كالعدل في الفعل تماما ، والبعد عن الجور والظلم حتى مع غير المسلمين، أما السيدة عائشة فزادت "ولعنكم الله، وغضب عليكم"، وقد ورد المثل في الآيات الثلاث دون زيادة(بِمِثْلِ مَا اعْتَدى، سَيِّئَةٌ مِثْلُها، بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ)، والنبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) لم يزد في الألفاظ، ولم يعادلها،بل عف لسانه عن اللفظ المتضمن لسوء النية فحذفه، وأطلق لفظا واحدا قام بالمعنى وتضمن المثلية المذكورة "وعليكم"، فهو أبلغ في المعنى، وأرقى في المعاملة، وأمعن في الدلالة، وقبل كل ذلك أعدل شرعا ودينا، لذا يستجاب له فيهم، ولا يستجاب لهم فيه.

إنه درس رائع في تعليم الأمة كيفية التعامل مع أطياف المجتمع المختلفة، رأب : أي صدع في أركانه قبل وقوعه، إنه يعلمنا الرفق في

---

[١] المجادلة :٨

[٢] البقرة ١٩٤.

[٣][٣] الشورى ٤٠ .

[٤] النحل ١٢٦

الأمر كله، واللين مع من يمكرون بنا مع علمنا بذلك المكر الذي تطوي عليه دواخلهم، والعداء الذي يخالط قلوبهم، وكيف لا يكون كذلك وهو من أدبه ربه فأحسن تأديبه .

وإذا انتقلنا من المعلم الملهم المؤيد، إلي من يقوم بتعليم الأمة في شخصها، إلي تلك الحميراء التي يعدها الصادق الأمين لنأخذ شطر ديننا عنها [١]، فهو يعلمها ليتلقي منها الصحابة والتابعين العلم بعده – صلى الله عليه وسلم –، وانفعال أم المؤمنين وحميتها دفاعا عن النبي – صلى الله عليه وسلم –هيأ لها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يسمع حقيقة لفظهم، لذا ثارت حينها وزاد انفعالها وغضبها، وبفطنتها وقوة ملاحظتها انتبهت إلي ما تلفظ به اليهود، ولشدة حبها للنبي – صلى الله عليه وسلم – واندفاعها في رد أي أذي عنه أسرعت بالرد عليهم، وغفلت عن رده – صلى الله عليه وسلم – فقالت ترد عليهم مقصودهم " السام عليكم"، وأضافت " ولعنكم الله وغضب عليكم " هي زوجة محبة لزوجها تدافع عنه بكل ما تملك، فما بالنا وهذا الزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فجمعت السيدة عائشة ثلاثة جمل ترد بهم علي اليهود، وهو رد بعيد كل البعد عن البذاءة والفحش، ردت عليهم جملتهم الأولي " السام عليكم " وفي الثانية جعلت اللعن من الله تعالي عليهم، ثم جاءت بما هو أشد من السابقتين وهو الغضب من الله وهو ما نعتهم به المولي عز وجل في كتابه العزيز فقال تعالي : " قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ

[١]لم يوجد لهذا الحديث سند إلا فى النهاية لابن الأثير

أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠):"[١] فكان لتعبيرها بالفعل الماضي " لعنكم، غضب" إشارة إلي تحقق هذه الأفعال وفقا لما جاء في القرءان الكريم .

وفي هذا الحديث دلالة علي جواز حضور المرأة مجالس الرجال ومشاركتهم الحديث

وبعد أن استمع النبي – صلى الله عليه وسلم – إلي قول عائشة هل قام بتعنيفها ؟؟ لم يطلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها التوقف عن الكلام بل أخذ بناصية الحديث في رفق وسهولة، والغالب علي السياق أن حديثه لعائشة كان بعد انصراف اليهود، وهذا هو الأسلوب التربوي الأمثل الذي يعز علينا في واقعنا أن نحذوه ونتمثله في تعليمنا لأبنائنا، إنه الحلم في أوجب صوره، والحكمة في أبهي حللها، فقال لها: " مهلا يا عائشة " مستوحيا الرفق والسكينة واللين من حروف ذلك المصدر " مهلا "، ولم يقل لها تمهلي لما في الأمر من حدة وصرامة .

لقد راعي المعلم والمربي نفسية السيدة عائشة الثائرة المنفعلة تجاه هؤلاء اليهود فعبر بلفظ وكأنه يد حانية تربت علي كتفها فتهدأ من روعها وتطيب نفسها، ولم تكن الطمأنينة والهدوء يسريان إلي نفسها لو قدم النداء فقال يا عائشة مهلا، ولكنه قدم ما يتلاءم مع نفسيتها وما كانت الحاجة إليه أشد والمقام إليه أدعي، وهو الهدوء والتريث في الأمر .

---

[١] المائدة ٦٠ .

وبعد أن امتص منها شحنة الغضب المسيطرة علي الموقف، وأثار انتباهها إلي ما بعده، اتجه نحو تصويب الخطأ من خلال أسلوبي الإغراء والتحذير فقال: "عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش".

وبدء عبارته – صلى الله عليه وسلم – بهذا الأسلوب تثير انتباه المتلقي وتستدعي سمعه، وتنبئه بخطورة الأمر، فعند تقديم التحذير والإغراء " إياكم – عليكم " يدرك السامع أن الأمر علي سبيل الإلزام، وخاصة إذا كان ذلك المحذر المغري هو ناصح الأمة ومعلمها وهاديها .

لقد تدرج النبي – صلى الله عليه وسلم – في نصحه وتوجيهه فبدأ أولا بالرفق واللين ونزع فتيل الغضب بقوله " مهلا "، ثم قال ناصحا موجها بأسلوب الإغراء " عليك بالرفق " فالرفق يهدي العقول الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ"[١] .

وإن لم ينص بالأمر حقيقته إلا أنه صيغ صياغة فيها شيء من الإلزام حيث ألحق به حرف " الباء " بدلالتها علي الإلصاق بما يتناسب مع ملازمة الرفق والتحلي به علي كل حال، ومن أسس التربية القويمة الدخول علي الإقناع بمدخل لين سهل لا يؤدي إلي تصادم مع المتلقي.

ومن براعة توجيهه – صلى الله عليه وسلم – أنه لم يواجه السيدة عائشة رضي الله عنها بالخطأ الذي ارتكبته من غير علم، ولكنه تجاوزه وأخذ في توجيهها إلي ما يجب أن تكون عليه وذلك فن عظيم في التعامل مع المخطئ، أن توجه انتقادا للسلوك وليس للشخص، حتي لا يحدث

---

[١] أسلوب الاستدراج فى القرآن الكريم د/ أحمد السيد طلحة ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٤ م .

تصادما نفسيا يدفع السامع إلي الإعراض عن النصح وحشد كل أسلحته للدفاع عن نفسه، لشعوره أنه في موضع اتهام، أما إذا وجه الانتقاد إلي التصرف حينها سيبحث المتلقي إلي تبرير ذلك التصرف وهو ما حدث للسيدة عائشة حين قالت " أولم تسمع ما قالوا ؟"

وبعد أن هدأت ثورة الغضب من خلال أسلوب الإغراء تجده يقرع الآذان في هوادة ورفق، وإن كان أكثر حزما مما سبق، وذلك من خلال أسلوب التحذير " وإياك والعنف " فقد يظن المتلقي لأسلوب الإغراء " عليك بالرفق " أن الأمر فيه ليونة وسعة، لذا جاء أسلوب التحذير أكثر إلزاما وحسما، وإن خلا من التهديد ،ووضعت مقابلة الأسلوبين أمام السامع لينتقل بين روضتين فواحتين بالعطر النبوي، الأولي يزينها الرفق واللين والتؤدة، والثانية يفوح منها تحاشي كل ما يعنف، والبعد عن القسوة والغلظة والجفاء، ثم يعطف أمرا آخر علي العنف فيقول والفحش .

ثم يأتي دور السيدة عائشة وقد هدأت ثورتها، لكن الحوار النفسي قائم، ألم يسمع مقولتهم ؟ فكيف يطلب مني أن أتمهل وأترفق بهم ؟ وقد دعوا عليه بالسام أي الموت فعبرت بأسلوب استفهام متعجبة من طلبه – صلى الله عليه وسلم – لها بذلك، فهي تري أن اجتراءهم علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والدعاء عليه يستحق ما قالته لهم، فتلك كانت حجتها التي تراها مبررا لها في لعنهم وإنزال الغضب عليهم .

وهنا يرد عليها النبي – صلى الله عليه وسلم – سؤالها بسؤال آخر متضمنا إجابة موجزة فيها فصل الخطاب فيقول مستفهما :"أولم تسمعي ما قلت ؟" قاصدا من وراء ذلك إلي إخبار السيدة عائشة بأن رده – صلى الله

عليه وسلم – عليهم يتضمن كل هذا، كما يعني سماعه لما قالوه وفطنته له ورده عليهم بالمثل دونما غضب أو عنف أو لوم .

إنه البيان النبوي العالي الذي أحاط النصح بسياج من الأساليب الرصينة، والعبارات الماتعة التي تؤتي ثمارها وتتسلل إلي الناس دونما جرح أو حرج .

وهناك سؤال يتبادر إلي الأذهان عن جدوي إصغاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – للاستفهام ليرد به علي السيدة عائشة أما كان في الخبر ما يكفي لذلك ؟

إن للاستفهام دورا في التنبيه وإثارة ذهن المخاطب وتوجيه فكره ومخاطبة عقله، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – أراد أن يعلم أمته بصفة عامة والنساء بصفة خاصة في شخص السيدة عائشة بطريقة تثير العقل والوجدان، فعند وصول المستمع إلي المعني المراد بنفسه واكتشافه بعد البحث عنه في خبايا الحوار ودلالاته الكامنة في نصوصه سيكون له أوقع الأثر في نفسه، ويأخذ منه عبرة لا تنسي عبر الأزمان، بخلاف الأسلوب المباشر فهو أقل فائدة وأثرا، ولم يكتف – صلى الله عليه وسلم – بهذا الجواب وإن كان كافيا، إلا أنه يعلم ما بداخل أم المؤمنين من قلق وحرص علي حياته الكريمة، فذيل جوابه بما يزيل قلقها، ويدخل السرور علي قلبها، ملقيا علي مسامعهما من خلال المقابلة تلك الحقيقة، فيقول : " فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في "، وكان جوابه – صلى الله عليه وسلم – إجابة لسؤال لم يسأل عن أن دعاءهم علي النبي سابق لدعائه عليهم .

واقتران استجابة دعائه – صلى الله عليه وسلم – بالفاء كان له أثر في إدخال السرور علي السيدة عائشة لما توحي به من سرعة الاستجابة، والنبي – صلى الله عليه وسلم – في تقريره لهذه الحقيقة يوضح أصلا في دعاء الظالم، فلا يستجاب له فيمن دعا عليه (وإنما يرتفع إلي الله تعالي من الدعاء ما وافق الحق وسبيل الصدق "[1]، وذلك مصداقا لقول الحق جل وعلا " وما دعاء الكافرين إلا في ضلال "[2](الرعد: ١٤)

---

[1]شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٣١/١ تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد السعودية – الرياض ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣ م

[2]الرعد ١٤

الحديث الثاني

الصبر عند الصدمة

حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ : اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي ،وَلَمْ تَعْرِفْهُ فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ،فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى."[١]

لا يتوقف نبي الله – صلى الله عليه وسلم – في تعليمه وتربيته علي من يلجأ إليه ويطلب منه العلم، ولكنه يتفقد أحوال المسلمين ويقدم لهم ما يصلح أمورهم في كل حال وظرف، فها هو يمر علي قبور الموتي فيري امرأة تبكي علي ابن لها، فيأمرها النبي – صلى الله عليه وسلم – بتقوي الله والتزام الصبر، فتنكر هذه المرأة المكلومة طلبه فلم تكن تعلم حقيقته، فلما علمت ذهبت إليه وتعللت بعدم معرفتها له، فقال لها – صلى الله عليه وسلم – إنما الصبر عند الصدمة الأولي .

النبي – صلى الله عليه وسلم – لم ينه تلك المرأة المذكورة التي لم يوقف علي اسمها، لم ينهها عن زيارة القبور، وفي ذلك دليل علي إباحتها وإنما أمرها بالصبر، وعبارة الحديث تكشف لنا عن أن هذه المرأة كانت تنوح علي القبر وتقول ما لا يرضي، لذا أمرها النبي – صلى الله عليه

---

[١] أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الجنائز / باب : زيارة القبور ٣٢٦/١ حديث رقم ١٢٨٣ .

وسلم – بالتقوي والصبر، وإلا لو كانت تبكي بكاء رحمة لما نهاها عن ذلك لإباحته، كما قال – صلى الله عليه وسلم – عند وفاة ابنه إبراهيم – إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن وإنا علي فراقك يا إبراهيم لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا "

واقتران الأمر بالتقوى بالأمر بالصبر دليل علي أن الجزع وترك الصبر من الأمور المنهي عنها، فترك الصبر يتنافي مع تقوي الله، وقد قدم الأمر بالتقوى على الأمر بالصبر؛ لأن التقوى أشمل وأعم، والصبر من التقوى، فقدم الأصل وأخر الجزء أو الفرع.

وقد كان رد تلك المرأة المكلومة لما قدم لها من نصح وإرشاد أنها قالت مستنكرة هذه النصيحة معنفة الناصح وإن لم تعلم حقيقته، فما كان ينبغي لها ذلك فقالت " إليك عني " : اسم فعل أمر ابتعد عني ودعني وحزني وجزعي، ثم عللت لمقولتها بقولها :" فإنك لم تصب بمصيبتي "، وصياغة كلامها بخبر مؤكد لإحساسها بأن مصابها ليس له مثيل فهي تؤكد علي تفردها بالمصاب لمكانة المفقود لديها، لشدة تأثرها لفقده، وماذا كان رد النبي – صلى الله عليه وسلم – علي هذا التجاوز من هذه المرأة ؟؟ هل زجرها وكشف لها عن نفسه ؟ هل أدبها علي سوء حديثها معه ؟ إنه الداعي إلي الله الذي يتحمل في سبيل دعوته ألوانا من الصعاب في سبيل نصحه وتوجيهه لأمته، وهل يقارن ما قالته تلك المرأة بما فعله كفار قريش وتحمله النبي – صلى الله عليه وسلم – صابرا محتسبا مستمرا في دعوتهم إلي الهدي والرشاد ؟؟، ولما مضي النبي – صلى الله عليه وسلم – تاركا هذه المرأة قال لها من شهد هذه الواقعة : "إنه النبي "– صلى الله عليه وسلم – ولا بد أن قولهم لها كان علي سبيل اللوم والزجر، فقالوا

مؤكدين مقولتهم مستنكرين فعلتها " إنه النبي – صلى الله عليه وسلم – " فأسرعت الخطي إلي باب النبي مستشعرين ذلك من " فاء التعقيب " "فأتت" وكان راوي الحديث موفقا في اختياره "أتت" دون جاءت، لدلالتها علي الإتيان بشيء فهي تحمل اعتذارا أو تبريرا لما فعلت وما تحدثت به مما لا يليق بحضرة النبي– صلى الله عليه وسلم –.

وجملة " فلم تجد عنده بوابين "، كما كانت تظن كما هو حال الزعماء ،جاءت هذه الجملة كتعليل وسبب لما بعدها، فقالت : " لم أعرفك "، والتقدير:"أنا لم أعرفك"، فحذفت ضمير المتكلم المنفصل "أنا"، لشدة حرصها على تقديم مبرر وعذر، ومدى حرصها على سرعة تقديمه، ،فحذفته متعجلة لشعورها بعظم ما وقعت فيه، وهذا اعتذار منها وحجة لها لما قالت، وبادرت المرأة بتقديم عذرها قبل أن تلقي السلام علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما يقتضي أدب الحوار، وذلك يوحي بما وقع في قلبها من هلع وفزع فور علمها بحقيقة مخاطبها مما أنساها أدب الحديث، وشرعت في تقديم عذرها وعلتها ولم يرد عليها النبي – صلى الله عليه وسلم – بما يؤدبها أو يعنفها علي غلطتها، ولكن كل ما يعني المربي والمعلم هو ترويض النفس وتهذيبها وتعليمها أمور دينها، فقال – صلى الله عليه وسلم – " إنما الصبر عند الصدمة الأولي " بأسلوب القصر يبين النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الصبر الكامل الأجر لا يكون إلا في أول المصيبة .

وحين نقف عند هذا القدر من ظاهر الحديث يكون علينا أن نتأول قوله – صلى الله عليه وسلم – " الصدمة " علي أنه من قبيل المجاز، لأن أصل الصدم : الضرب في الشيء الصلب، ثم استعير لكل مكروه حدث

بغتة، فاستعار الفعل لأثره استعارة تصريحية أصلية، وكأن المصيبة في أول حدوثها تضرب قلب المصاب، وتحطم حياته وتقضي علي استقراره وأمنه .

وحاصل المعني أن الصبر الذي يكون عند الصدمة الأولي هو الذي يكون صبرا علي الحقيقة هو الصبر كامل الأجر، الذي يستحق ما وعد الله به الصابرين في قوله تعالي{ إِنَّمَا يُوَفَّي الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [1]، فالأجر لا يكون علي البلاء، فهو قدر لا قدرة لنا علي دفعه، ولكن قوة الإيمان وصدق اليقين وحسن التوكل يبرز من خلال القدرة علي الصبر عند البلاء، وخص الصبر بأول الصدمة لأن الصبر بعد ذلك هو أمر لا مفر منه، تفرضه طبيعة الحياة ومشاغلها ويحدث بالتسلي بأمور الدنيا التي تهون المصاب وتطحن الثكالي في رحي الحياة، إنها الصدمة الأولي التي يظهر فيها قوة الإيمان وحسن تقبل أقدار الله علي خلقه .

وزهرة أخري نقطفها من بستان هذا الهدي النبوي ونحن علي أعتاب نهايته وهو قوله – صلى الله عليه وسلم – " عند " التي يظهر فيها الصبر كأنه مقيما راخيا قلاعه، ضاربا بجذوره عند أول الصدمة، فهو لا ينفك عنها متي حدث، حل الصبر وأحاط المشاعر والأحاسيس، وجعل لها سياجا حاميا عن الخروج عن حدود الله، وتجاوزما أمر به من تلقي الأقدار والابتلاءات، فالصبر ملازم للصدمة لا يفارقها، يظهر بظهورها ويتجلي بوقوعها فيمنح من يتحلي به أجر الصابرين ويرفع درجاته في عليين .

---

[1] الزمر من الآية ١٠.

وهكذا نري أسلوب النصح والإرشاد طريق النبي – صلى الله عليه وسلم – في تعليمه للأمة المسلمة من خلال تلك المرأة فهو الرحمة المهداة للبشر قال تعالي :" { وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[١] .

فالدعوة إلي الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه رحمة للخلق في أهدافها وغاياتها ،وترغيب الناس فيها، وتقريبهم منها يحتاج إلي الرحمة واللين، {وَلَو كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }[٢]"

ولذا كانت الرحمة التي أودعها الله في قلب نبيه وحبيبه أعظم عون له – صلى الله عليه وسلم – في جمع الناس وتعليمهم وتربيتهم تربية سليمة، والمرأة أحق من يتعامل بالرحمة والرفق واللين لرقتها ولين جانبها، كما شبهها – صلى الله عليه وسلم – بالقوارير في النقاء وسهولة الكسر .

وهكذا ينبغي أن يكون شأن دعاة الدين في تبليغ دعوتهم ومخاطبتهم للنفوس واستمالتهم للقلوب، ليكون لهم أكبر الأثر في هداية الناس ببيان كلمة الله وإظهار حكمه وشرعه .

****

[١] الأنبياء من آية ١٠٧.

[٢] آل عمران من الآية ١٥٩.

أسلوب الترغيب والترهيب في حديث النبي عليه السلام للمرأة [خصائصه ومزاياه]

أسلوب الترغيب والترهيب

تعريف الترغيب : من رغب يرغب رغبة ،إذا حرص على الشيء وطمع فيه، ورغَّبَهُ في الشيء: طمَّعه فيه.

والترهيب : رهب الشيء رهبا، ورهبا ورهبة أي خافه، ورهَّبهُ من الشيء: خوَّفَهُ منه "[١] .

أما في الاصطلاح : فهما متضادان، حيث أن الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة ،أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة، مقابل القيام بعمل صالح ،أو الامتناع عن لذة ضارة ،أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله، كقوله تعالى :"قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ"[٢] .

والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه ،أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله بها، أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية"[٣] (٢) كقوله تعالى :" وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا "[٤]

---

[١] اللسان مادة رغب ورهب .

[٢] آل عمران ١٥.

[٣] أصول التربية الإسلامية ٢٣٠ أ.د عبد الرحمن الخلاوى ، ط دار الفكر العربى ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .

[٤] مريم ٧٠ .

ومما لا شك فيه أن هذا الأسلوب التربوى هو من الفطرة الإنسانية السليمة، فالكائن الحى – سواء كان إنسانا أو حتى حيوانا – يخلد إشلى النعيم والتكريم، وينفر من كل ما يؤلمه ويحرمه، ويمثل له لونا من ألوان الشقاء، والنفس البشرية أشد ميلا، وأولى بالابتعاد عن كل ما يؤذيها، وطبيعة الأمر وضرورته تقتضى أن يثاب المحسن على إحسانه وأن يعاقب المسيء على إساءته (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"[1]، ولولا تطبيق هذا المنهج التربوى لعم الظلم، وساد الاضطراب لعدم وجود ما يدعو إلى عمل الخير ويشجع عليه، أو يردع العاصى ويعاقبه ويتوعده بألوان من العقاب، فالحياة صراع مستمر بين الخير والشر، وضابط الأمر وحاكمه هو تلك القوانين السماوية وما وضعه البشر من قوانين ضابطة حاكمة لحركة الحياة " أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى"[2].

فلو نهجنا نهج نبينا– صلى الله عليه وسلم ـ في تربية أبنائنا لاستقامت أصلابهم، وقويت شكيمتهم، وحسبوا لكل عمل يقومون به حسابات عديدة قبل القيام به، فيبعد الناشيء عن قبيح الفعال التى قد تعرضه إلى وعيد كائن لا محالة، وقد يستخدم المربى أسلوبى الترغيب والترهيب في وقت واحد، فيجمع بين اللين والحزم، وديننا الحنيف لم يترك أسلوبا من أساليب التربية الإسلامية إلا طرقه، للنفاذ إلى النفس، وتهذيبها وتقويم عوجها، والمربى لا يستطيع السير طويلا في حقل التربية وفق معايير وضوابط وقيم دينية ما لم يضع أسس ومناهج لمنهجه التربوى،

---

[1] الزلزلة ،الآيتان ٧،٨ .

[2] القيامة ٣٦ .

ومن هذه الأساليب الناجحة أسلوبا الترغيب والترهيب، وإذا أردنا غرس مبدأ دينى في نفس الناشيءة علينا بأسلوبى الترغيب والترهيب، فهما يثيران انفعالات نفسية، مما يقوى العواطف الربانية كمخافة الله، فمثل هذه العاطفة الربانية بنيت عليها أكثر العبادات المفروضة كالصلاة"[١] .

وللترغيب والترهيب أكبر الأثر في إثارة دافعية الناس إلى العمل الحسن، وتجنبهم العمل السيء، كما يطلقون على هذا الأسلوب في مجتمعنا المعاصر – سياسة الجزرة والعصا – أو " الثواب والعقاب " ولكن بخصائص ربانية مواتية لطبيعة الإنسان، وموافقة لاحتياجاته ،ومن المعلوم أن الترغيب والترهيب أسلوبان تربويان مميزان عن غيرهما من الأساليب لعدة خصائص منها :

١ – اعتماده على الإقناع بتقديمه ثمرة العمل قبل الإقدام عليه، مما يحفز المخاطبين به على الفعل أو الترك، وبخاصة في الأمور المتعلقة بالأوامر الإلهية والتى يتوجه فيها الخطاب إلى المؤمنين، وهذا يقتضى أن نبدأ بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس النشء، حتى يتسنى لنا أن نرغبهم في الجنة، أو نرهبهم من النار، وليكون لها ثمرة عملية سلوكية.

٢ – قد يعتمد أسلوبا الترغيب والترهيب على تصوير فنى رائع، مقربا وموضحا للموقف مما يكون له أكبر الأثر وأقواه، ويقرب الصورة إلى أذهان الناشيءة .

---

[١] دراسات ناقدة لأساليب التربية المعاصرة فى ضوء الإسلام ، فتحية عمر الحلوانى ١٤٠–١٤١ .

٣- أسلوب الترغيب والترهيب يعتمد على إثارة الانفعالات النفسية، وتربية العاطفة الدينية، وهذه التربية الإيمانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية كعاطفة الخوف من الله وخشيته والتعلق به – ﷻ –، والرجاء والطمع في جنته .

٤- يعتمد أسلوب الترغيب والترهيب في التربية على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينهما، فلا يترك الخوف يطغى على الرجاء والأمل مثلا فيقنط المذنب من رحمة ربه وعفوه، ولا يترك الأمل والعلم برحمة الله تطغى على الخوف من العقاب فيسرف المذنب في ارتكاب ذنوبه، ويبسط الرجاء في طلب العفو والمغفرة مع الاستمرار في اقتراف الذنوب والمعاصى، فمن خلال التربية المتوازنة، والجمع بين الخوف والطمع . الخوف من عقاب الله وعظمته ومقامه، والطمع في رحمته . فاستشعار غضب الله لا ينسينا رحمته، ورحمة الله لا تنسينا عقابه، وهكذا يقول المولى عز وجل : " إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ "[١]، ويقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ : عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ قال : " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد"[٢] .

- وعن جدوى كل من الأسلوبين في التربية الصحيحة، الأمر يتوقف على طبيعة الموقف وطبيعة الشخص المراد توجيهه وتربيته، فمن كانت

---

[١] الأعراف آية ١٦٧ .

[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب التوبة باب : فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/٣٧١ رقم ٢٧٥٥

مطامعه النفسية تغلب على تفكيره حاجبة عنه سبل التفكير السديد والأمل والرجاء في رضا المولى عز وجل، فمثل هذا يجدى معه أسلوب الترهيب، فلابد من استخدام أسلوب رادع يصادم تلك الشهوات والأهواء الجامحة، بخلاف تلك الشخصية المتعلقة بحب الله التى تضع رضا الله نصب عينها في كل أعمالها، فلا بد من تحفيزها وحثها على مواصلة السير في طريقها، وتلك هى مسئولية المربى المسلم في كل زمان ومكان، أن يعمل جاهدا لتنشيءة جيل صالح يعلم عاقبة كل فعل يقوم به، ويحسب لكل خطوة يخطوها حسابها الدقيق وفق منظور إيمانى صحيح، فعلى المربى أن يكون حسن المسلك عميق الفهم ليتمكن من تحديد الأسلوب الأمثل لكل موقف فيعاقب المسئ ويكافئ المحسن جاعلا مرجعه في ذلك كتاب الله وسنة رسول الله– صلى الله عليه وسلم ـ .

- وما يحدث اليوم في مجتمعنا من تدن في الأخلاق ما هو إلا ثمرة لبعد الناس عن المنهج السليم والأساليب التربوية القويمة، فما أحوجنا إلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم ـ نستقى منها أنسب الوسائل وأنجحها، لتربية النشء وإصلاح أمرهم، حتى يسيروا على الدرب الصحيح، ويصلو إلى سواء السبيل، وعلينا التمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قولا وعملا شأن من سبقنا من المسلمين الأوائل، فتقوى شوكتنا وتنهض أمتنا ونرضى خالقنا .

****

الحديث الأول

أسلوب ترغيب

حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ وَأَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً رَفَعَتْ صَبِيًّا لَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ"[1]

بين يدى الحديث :

تحرص الصحابيات على تعلم أمور دينها وكان لهن في وجود النبي – صلى الله عليه وسلم ـ بينهن حظ وفير، فلم يتركن كبيرة ولا صغيرة إلا سألن عنها، فسألت تلك المرأة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ عن فرضية الحج لصبى صغير فأجابها النبي – صلى الله عليه وسلم ـ بأكثر من سؤالها ترغيبا لها في الامتثال .

بلاغة الحديث :

لماذا لم تسأل تلك الصحابية سؤالا مقاليا عن حكم حج الصبى ؟ ربما كان المجلس مكتظا بالحضور ولا يمكن لصوتها أن يصل بين السائلين، وربما أرادت أن يكون سؤالها محدودا ومصورا بشخص المسئول عنه حتى تضمن دقة الجواب، وفي رواية ابن عباس ما يدل على أن تلك المرأة هى ولية أمر هذا الصبى، حيث أضافه لها فقال " صبيا لها "، فنادته (صلى الله عليه وسلم) "يا رسول الله" لعظم مكانته وجلالها في القلوب، كما نادته

---

[1] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الحج باب صحة حج الصبى .

بصفته الشرعية"رسول الله" حتى يفتيها في أمر الشرع، فالنداء بالياء وبالرسول مناسب للحال، ملائم للمقام، ثم سألت بالهمزة التى هى أصل باب الاستفهام، وقدمت المسند(ألهذا) للاختصاص، فهو صبي صغير، والمعتاد أن الحج للبالغ الكبير، وهي أرادت كل سبل التوكيد، ومنها حضور الصبي فهو حاضر، ومعاينته حيث قامت برفعه للنبي(صلى الله عليه وسلم)، ثم أشارت إليه باسم الإشارة للتوكيد مستفهمة بالأخف والأخصر (الهمزة) تماشيا مع موقف ازدحام الحجيج، وكثرة عددهم، وخصت الحج بالسؤال لأنهم كانوا في موسمه، فعناية الأمهات لم تكن في المقام الأول بتغذيتهم أو كسوتهم ولكنها كانت بتنشيءتهم تنشيءة دينية، فرد عليها النبي – صلى الله عليه وسلم ـ بنعم، وكان في هذا الجواب ما يكفي السائلة، إلا أنه – صلى الله عليه وسلم ـ زادها "ولك أجر " تحفيزا لها وترغيبا في الفعل، وما يقتضيه من تحمل مشاق وصعوبات شديدة باصطحاب الصبية الصغار للحج، وفي هذا الحديث دليل على صحة حج الصبى، ويثاب عليه، إلا أنه لا يجزيه عن حجة الإسلام، لأنه غير مكلف، كما أمره بالصلاة قبل البلوغ ليعتاد عليه، ويغرس في قلوب الصبية، وينطبع في أذهانهم هذا الركن من أركان الإسلام ،فضلا عما يوحى به مشهد الصغار حول البيت من تحريك للقلوب والأرواح .

ولهذه الأم الحريصة على تنشيءة أولادها تنشيءة سليمة أجر كبير وعظيم، تجلى لنا في تنكيره – صلى الله عليه وسلم ـ ل "أجر " فهو أجر عند الله سبحانه وتعالى، وأجر دنيوي بأبناء أنقياء، يتشربون حب الامتثال للأوامر الربانية منذ نعومة أظفارهم .

- فعلى كل الأمهات عدم التعلل بصغر سن أبنائهم، فمن شب على شيء شاب عليه، وها هو رسولنا الكريم يشجع تلك الأمة الكريمة بأن يقوم أبناؤها بأشق أركان الإسلام بدنيا وماديا وهو الحج، فما بالنا بما هو دونه من صلاة وشهادة، ولا شك أن ذلك من باب التعليم ليكون أبناؤنا نبتا صالحا قد ارتوى وترعرع في حديقة الإسلام الغناء، ونشأ على طاعة الله وتحمل المشاق في سبيل تنفيذ أوامره؛ ليسهل القيام بها حين تفرض عليه، فصلاح أبنائنا في هذه التنشيءة القويمة والالتزام بهذه الوسائل التربوية العظيمة وفق المنهج النبوى التعليمى .

- وإن كان حرص الأم على صالح ابنها هو الدافع الأكبر إلا أن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ جعل لها حافزا آخر ترغيبا لها في الامتثال وتحمل المشاق وهو إخبارها بأن لها أجرا في حث ابنها ومساعدته في القيام بتلك الفريضة، فيقوم الترغيب بدور بالغ الأثر في الحث على العمل وتحمل صعوباته، وتهوين مشاقه، فلنتخذه منهجا تربويا وأسلوبا تعليميا في تربية أبنائنا، والدفع بهم إلى سبيل النجاح والهداية .

****

الحديث الثاني

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ :أُصِيبَ حَارِثَةُ [١]يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ :يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ : وَيْحَكِ أَوَهَبِلْتِ ؟؟ أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ؟؟هِيَ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ "[٢].

بين يدى الحديث

إنها الأم في كل زمان ومكان، تلك الأم المكلومة في ولدها حارثة، ذلك الصحابى الجليل الذى استشهد في غزوة بدر، أرادت أمه أن تطمئن إلى مصيره، ليهدأ قلبها وتصبر على فقده، فأجابها النبي بما يدخل البشارة على قلبها، وبين لها منزلة ابنها في الجنة، وفي هذا ما يحمل أمارات البشارة ،والترغيب في الشهادة ،وخوض غمار الجهاد في سبيل الله تعالى .

***الأسرار البلاغية** :-

بدأ راوى الحديث "أنس " كلامه بجملة خبرية أبان بها عن الموقف ،وصور أبعاده ،وكشف عن طبيعة الحدث، وأنه أمر يتعلق بما كابده

---

[١]حارثة :. هو حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدى بن مالك ، أمه عمة أنس بن مالك، شهد بدرا وقتل يومئذ وهو يشرب من الحوض وكان نظارا يوم بدر وهو أول قتيل ببدر من الأنصار . الاستيعاب فى معرفة الصحابة ٢٠٧/١

[٢]صحيح البخارى [كتاب المغازى – باب فضل من شهد بدر]رقم [٣٩٨٢]

المسلمون من خسارة في الأرواح يوم بدر، كما أبان عن حرص المسلمين على الجهاد في سبيل الله، حتى الغلمان منهم لم يمنعهم أهلهم من الدفاع عن الدين ونصرته إعلاء لكلمة الله .

وقيود الجملة " الظرف - الحال "، كان لهما أبلغ الأثر في توجيه الحديث، فزمان الإصابة هو يوم بدر، تلك المعركة التى علا فيها الحق على الباطل بتأييد المولى عز وجل وتوفيقه، وحال المصاب "وهو غلام " كشف لنا عن الهيئة التى كان عليها " حارثة "، وكيف كان غلمان المسلمين في الدولة المسلمة الفتية قوام جيش ورءوس حراب يدافعون عن دين الله بأرواحهم، ولم تمنعهم حداثة سنهم من الذود بأرواحهم في سبيل الله، أين شباب عصرنا من هذه النماذج الطيبة التى قامت عليها دعائم هذا الدين وارتفعت رايته ؟ ولم يمنعهم صغر السن من السباق إلى معالى الأمور .

- وقد عبر بالمجاز المرسل لعلاقة السببية "أصيب " قصدا للإيجاز، فالإصابة سبب في القتل ونيل الشهادة، وربما لجأ إلى المجاز تخفيفا على السامع من أن يبدأ كلامه بلفظ القتل .

وبعد هذه المقدمة التمهيدية جاء " أنس " بما ترتب على معناها وجعل وقع هذه المقدمة أكثر فداحة فقال " فجاءت أمه إلى النبي " لنا أن نستحضر حال هذه الأم التى قتل غلامها، يالها من حسرة وألم تحس به هذه الأم المكلومة .

جاءت مستصحبة حسرتها وحزنها، فالسهم الذى أصاب حارثة أصاب سويداء قلبها فلفتها الفجيعة، وغمرها الأسى، فماذا فعلت تلك الأم المؤمنة المحتسبة ؟ هل أخذت تصيح وتولول كما تفعل نساء الجاهلية ؟ كلا، إنها

لجأت إلى المداوي، إلى ملاذ المفجوعين وهادى المتحيرين، لجأت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – علها تجد لديه ما يداوي جرحها الغائر، ويسبغ صبراعلى قلبها الملتاع، فقالت بصوت يملؤه الأسى والحزن :" يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة منى " .

لقد رسمت لنا رواية أنس مشهد تلك الأم المكلومة، وكأننا نسمع ذلك الصوت المتهدج حزنا وألما، ولم ينسها الحزن حسن البيان فتلك سليقة المرأة العربية التى تنضح بما فيها حتى في أحلك الظروف وأصعبها، فحسن ابتدائها بين يدى رسول الله، فأعطت لصاحب المقام ما هو أهل له من التعظيم والتوقير " يا رسول الله " ثم أعقبت بعبارة تشير بها إلى حجم مصيبتها مؤكدة كلامها لمن لا يحتاج إلى تأكيد، فمنزلة الابن عند أمه لا تحتاج تأكيد، ولكنها أرادت أن تؤكد الأمر بالنظر إلى حالتها هى، فمناط التأكيد لديها هو حالة الفقد التى تكابدها تزامنا مع حالة الحب الشديد الذى تحمله بين جنباتها، وكانت الإضافة إليها "منى " فيها معنى الالتصاق الشديد المناسب لالتصاق الأم بابنها .

وتمضى الأم المكلومة في حسن بيانها وروعة أسلوبها الذى أضفي عليه الحزن مسحة من الجلال الممتزج بحسن البيان فتقول : " فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع ؟" .

انظر بم تعلقت الأم المؤمنة ؟؟ وبم ربطت جملة الشرط؟؟، هل ربطتها بكثرة الغنائم عوضا عن ابنها ؟ أم بمكافأة مجزية ؟ لقد ربطت فقد ابنها وتسليتها عن فقده بدخوله الجنة، هكذا تكون همة المؤمنين وآمالهم، لا تبحث عما يسليها عن فقد ابنها إلا معرفتها بدخوله الجنة، فيالله من أدب عال في مقام حضرة النبي –صلى الله عليه وسلم – بأن جاءته سائلة،

جاءت بجواب الشرط في الأولى فقالت " أصبر وأحتسب "، وهذا ما تأمله وتطمع فيه، وعلى الرغم من معرفة المؤمنين بأن الشهداء يدخلون الجنة إلا أن قلب الأم يأبى إلا أن يسمع هذه البشارة من رسول الله . صلى الله عليه وسلم – ونرى في بيان هذه الصحابية الجليلة ما يشير إلى حسن صنيعها ورغبة قلبها :.

١ – قدمت الحديث عن الجنة تفاؤلا وأملا ورجاء .

٢ – طوت الحديث عن النار وقالت "الأخرى " إبعادا لذكرها عن اللسان حتى تبعد عنها ولدها ولو باللفظ .

أثبتت النون عند ذكرها للجنة فقالت "تكن" بما يعطى معنى قرار ابنها فيها، وتثبيته بها كما أثبتت ذلك الحرف، إضافة إلى حرف "في" بدلالته على الظرفية وما توحي به من تمكن واحتواء، كما أسندته إلى ضمير ولدها .

٣ – تعبيرها في جانب الأخرى "النار " أعاذنا الله وإياكم منها – بالفعل "تك" بحذف النون من الفعل الناسخ المجزوم ب"إن " لمرورها السريع على تلك الأخرى ونفورها منها، وأسندت الفعل إلى ضمير النار إبعادا لها ولضميرها عن فقيدها الغالى .

وجاءت بجواب الشرط في الأولى فقالت " أصبر وأحتسب "، فهى لن تصبر لتنال أجر الصابرين وحسب، ولكن صبرها لعلمها بمنزلة ابنها ومكانته في الجنة، وفي جملة الشرط الثانية لم تأت بالجواب تأدبا في الحديث مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم ــ "فترى ماذا أصنع ؟ " فألقت السؤال إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم ــ وتركت له أمر الإجابة بعد أن عرضت عليه قضيتها من كافة أبعادها، وماذا تتوقع تلك

الصحابية الجليلة من قضية رفعتها أمام قاضى الرحمة المهداة ؟ لم تلبث وأن سمعت البشارة في أزهى حللها من البشير النذير فقال لها مستفهما " وَيْحَكِ أَوَهَبِلْتِ ؟ أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ ؟" فجاءت البشارة في عبارات متتابعة تتناسب مع الحالة النفسية لأم المتوفي، وتعطيها من قوة البشارة ما ينزع من داخلها كل قلق ،فيرسل إليها ومضات الأمل واحدة تلو الأخرى، فيتعجب بداية من سؤالها فيقول "ويحك" ليخرج بها من الحالة النفسية التى يسيطر عليها فيها القلق والشك من دخول ابنها الجنة، وما قصد النبر – صلى الله عليه وسلم ـ من وراء هذا التعجب إلا شد انتباه الأم إلى معرفة سر هذا التعجب والدهشة من سؤالها، وتلك الكلمة "ويحك" "بطبيعة استعمالها تتصدر غالبا أسلوبا تقويميا لخطأ وقع أم سيقع وبدت بوادره، لذلك فهى من الكلمات المثيرة للانتباه الداعية للمخاطب لمتابعة الموقف"[١] .

ويستمر النبي – صلى الله عليه وسلم ـ في تصحيح ظنها وإنكار شكها وقلقها ومثيرا لانتباهها فيقول مستفهما "أوهبلت؟" واستعار لفظ الهبل لما أصابها من خطأ التقدير وسوء التوقع، وما قصد النبي من وراء هذا الاستفهام رميها بالهبل أو فقد العقل، كما لم يقصد في السابق أن يدعو عليها بالويل، ولكنه – صلى الله عليه وسلم ـ أراد أن ينقلها ويصرفها عما هى فيه من حزن ويبعد عن دائرة أفكارها الشك في مصير حارثة، فلو أخبرها الصادق المصدوق بأسلوب خبرى مباشر وقال لها "هو في جنان

---

[١] بلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم ـ فى تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع ٢٢٤ و(...) فى الصحيحين د/ ناصر راضى الزهرى إبراهيم ، ط ، دار البصائر – القاهرة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

كثيرة " لم يكن له ذلك الوقع الطيب في إزالة القلق المسيطر عليها، وتلك هى التربية السليمة والعلاج الناجح لكل لون من ألوان الداء ما يناسبه من الأدواء، فلما رأى النبي – صلى الله عليه وسلم ـ ما بها من ألم الفقد لذلك الغلام اليافع الأثير لديها، القريب من قلبها، لم تكتف بالجواب المباشر، ولم تكن الطمأنينة لتدخل على قلب الأم عند هذا الحد، ولكنه – صلى الله عليه وسلم ـ أضاف بطريقة جوابه مراحل لتبديل حالها، فكان الاستفهام الآخر بقوله "أوجنة واحدة هى ؟ " منكرا عليها أن يكون أملها في دخول ابنها الجنة، فهو يرى أن تلك الأمنية أقل بكثير مما هو فيه .

ثم يأتى بالبشارة الكبرى بعد ما نزع عنها الشك والقلق، وجاءت البشارة مؤكدة لتستقر في قلبها وتهدأ نفسها فقال :" إنها جنان كثيرة " وحمل التركيب النبوى البليغ تلك البشارة بأروع صورة، فجاء ضمير الشأن ليتمكن الخبر من نفسها أشد تمكن، وذلك دور ضمير الشأن ،لأن السامع إن لم يفهم معرفة ما أبهم عليه واستغلق عليه فهمه، هيأه الضمير لمعرفته وتشوقت نفسه إليه، فعند وروده يتمكن في نفسه وتتلقفه تلقف الملهوف المتشوق "لأن الحصول بعد الطلب أعز من المساق بلا تعب"[1]، وعادة الخبر المساق له ضمير الشأن يكون أمره عظيم، ومما يعتنى به .

ولم يكن للتأكيد وضمير الشأن روعة التركيب لولا أن جاء الجمع "جنان " جمع تكسير، ليذهب خيال الأم إلى عدد غير متناه من الجنان

[1] شرح عقود الجمان فى علمى المعانى والبيان للإمام جلال الدين السيوطى – ت محمد عثمان ، ١١٥ ، ط المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

التى يسرح فيها حارثة ،وأضاف التنكير كثرة وتعظيما إلى الكثرة يالروعة بيانه وعظيم شفقته وحنوه (صلى الله عليه وسلم).

ويأتى الخبر التالى ليضع الأم في أعلى مراتب الطمأنينة، وليصل بها إلى ما لم تكن تأمله أو تتطلع إليه، فيقول البشير " وإنه في جنة الفردوس " إنه من ذكر الخاص بعد العام، أنه الحسن الذى لا يأت بعده أحسن منه.

إنه الغاية لكل مسلم، الغاية التى أمرنا الحبيب المصطفي إذا سألنا الجنة أن نسأل إياها .

إذا كان هذا هو حال حارثة الذى دلنا شراح الحديث أنه كان من النظارة في الجيش، وأصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض، فكيف حال من كان في حومة الوغى ووسط الميدان وواقفا في نحر العدو ؟

وهكذا كانت التربية النبوية في أروع صورها، وأرقى أساليبها، وكيف حملت ترغيبا في القتال ببيان عاقبة من مات وهو في خدمة الجيش، وكيف بدل المربى الحكيم حالة الفزع والقلق التى كانت عليها السائلة إلى اطمئنان، وبشرى وسكينة، وكيف سرت تلك الأحاسيس الطيبة إلى روح الأمة الإسلامية على اختلاف العصور والأزمان .

****

الترهيب

الحديث الأول

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي زَيْدٌ هُوَ ابْنُ أَسْلَمَ عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[1] قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟؟ قَالَ : أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟؟ قُلْنَ :بَلَى، قَالَ : فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ؟؟ قُلْنَ :بَلَى ،قَالَ : فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"[2]

لقد عنى النبي (صلى الله عليه وسلم) بشؤون النساء، ولم يفتأ يقدم لهن كل ما يصلح أمر دينهن ودنياهن، معلما لهن وواعظا وناصحا، وفق منهج تربوي لا تدنو منه أقوى برامج التربية الحديثة بكل مؤسساتها وإمكاناتها الهائلة، فقدم لهن دواء ناجحا قبل أن يذكر لهن مواطن الخلل والقصور في تحصيل الحسنات، فأمرهن بالصدقة ليعوضن ما فقدن من حسنات؛ وليضمن لهن الفوز بالجنة تكفيرا عن الذنوب والسيئات .

---

[1] سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر كان من الحفاظ لأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المكثرين ومن العلماء الفضلاء العقلاء ت عام ٧٤ هـ . ينظر أسد الغابة ٥ / ١٤٢ .

[2] صحيح البخارى (كتاب الحيض ، باب : ترك الحائض الصوم) رقم ٣٠٤ .

- **الحوار بالاستفهام**

بدأ النبي – صلى الله عليه وسلم – خطابه عن النساء مناديا إياهن " يا معشر النساء، لما للنداء من فاعلية في استحضار ذهن المنادى وإنصاته لما يلقى إليه، لا سيما إذا كان النداء من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وفي استخدام حرف النداء "يا " تجاوز للزمن الذى شهد الواقعة إلى باقى الأزمان، فالخطاب وإن كان وجه إلى طائفة بعينها إلا أنه عام لجميع النساء على اختلاف الأزمان والأمكنة، ورسولنا الكريم يعلم حقيقة النساء واجتماعهن على أخلاق معينة، وتلاحم كل جنس لجنسه لذا كان نداءه لهم ب" معشر "، فالمعشر : الجماعة، وعضد دلالة المعشر على الجماعة التعبير بلفظ " النساء "، دون النسوة؛ لأن النساء جمع نسوة إذا كثرن "[١].

وبعد أن هيأهم لاستقبال ما يلقى عليهم بادرهم بالأمر ناصحا لهم وموجها " تصدقن "، ومجئ الأمر بعد النداء يوحي بشدة حرص المتكلم وعنايته بالأمر، كما أن تخصيص النساء بهذا الأمر " تصدقن مع كونه من الأوامر الموجهة للمسلمين عامة رجالا ونساء مما استدعى تساؤلا جال في خواطر المخاطبين، لم خصنا – صلى الله عليه وسلم – بهذا الأمر ؟ ويبدو أنه – صلى الله عليه وسلم – قد استشرف هذه الحيرة ولم يترك للتساؤل مجالا، فجاءت إجابته – صلى الله عليه وسلم – عن سؤال لم يطرح بعد فقال : " فَإِنِّي رأَيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ "، وعبارة كهذه فيها إخبار بمآلهن يوم القيامة، وحشد لها تركيبا فريدا لكى لا يملك متلقيها إلا الإذعان بها، فجاء مؤكدا ب "إن" على الرغم من انتفاء أى شك في كلام

---

[١]لسان العرب مادة (نسا).

الصادق المصدوق، ولكنه نظر إلى حال الخبر في ذاته، وأضاف الكلام إلى نفسه الشريفة وفي ذلك تأكيد ما بعده تأكيد، ثم نون التوكيد المشددة، فهو توكيد مشدد لا ريب فيه.

أضف إلى ذلك أن الرؤيا بصرية مما لا يدع مجالا لشك، فضلا عن التعبير ب" أهل " فأهل كل فئة هم خاصتها ممن يجمعهم نسب أو دين أو صنعة، فهم مجتمعون في استحقاقهم دخول النار .

وإن كان الخطاب منه – صلى الله عليه وسلم – لمن سمعن الحديث إلا أنهن ممثلات لبنات جنسهن، ولسن مقصودات بالضرورة بهذا الخبر، فقد يكن من أهل الجنة فالمرئى في النار من معشر النساء اللائى اتصفن بتلك الصفات التى أشار لها الحديث .

وبعد أن ألقى عليهم النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك الخبر المفزع مما قذف الفزع والرعب في قلوبهن فسارعن في السؤال لا رغبة في العلم والمعرفة، ولكنه دافع آخر هو الحرص على النفس والخلاص بها من عذاب جهنم –أعاذنا الله منها –، فسارعن متسائلات " وبم يا رسول الله " ؟؟ولم يكن السؤال عن حقيقة الخبر، فهو مؤكد بقائله وبصياغته ولكن السؤال كان عن أسباب ذلك الحكم حتى يسلكن طرق الوقاية والنجاة .

ويأتى دور المعلم الجليل والمربى الفاضل الذى يترك للمتعلم فرصة مراجعته ويجتهد في إقناعه وترسيخ الفكرة لديه بأوضح الصور وأكثرها إقناعا، فجاءت إجابته صريحة، معللة لما سبق من حكم، فقال : " تكثرن اللعن، وتكفرن العشير " .

وفي تقييد اللعن بالإكثار مما يعنى أن اللعن يكثر على ألسنة النساء، فما يؤاخذن عليه هو الكثرة فقط، وفي الإكثار من اللعن اجتراء على حق المولى عز وجل بالإخراج من رحمته والطرد منها، وهو الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شيء، وفي كفران العشير بمعنى عدم الاعتراف بحقه ومعروفه اجتراء على حق الزوج وعدم الاعتراف بسابق فضله عليها، وليس المراد به الكفر المخرج عن الملة .

وفي استعماله – صلى الله عليه وسلم – لفظ الكفر لما للزوج من قيمة كبيرة وحق أكبر على زوجته؛ لذا استعار – صلى الله عليه وسلم – ذلك اللفظ الموضوع لإنكار نعم الله سبحانه وتعالى وعدم شكره عليها لمن تنكر فضل زوجها عليها، فشبه حق الزوج على زوجته بحق الله تعالى على عباده، وفي اختصاصه – صلى الله عليه وسلم – لهذا الذنب دون سواه من أنواع الذنوب المتسببة في دخول النار ما يدل على أهمية دور الزوج وعظم جرم من لا توفه ذلك الحق .

وما زاد هذه القيمة وذلك الحق التعبير بلفظ العشير، ذلك المخالط والمعاشر فهو حقيق من أجل تلك العشرة بإظهار حسناته وستر عيوبه، فإن أنكرن حق العشير فذلك من قبيح فعلهن المقتضى جعلهن أكثر أهل النار، وفي اقتران فعلهن بالمفهوم العام للكفر "تكفرن " ما يجسد شناعة جرمها وبشاعته، وفي التحذير من هاتين النقيصتين معالجة للمجتمع الإسلامى وما اعتراه من تفكك في أكثر علاقاته قوة وتلاحما كما أشار لها المولى عز وجل بقوله " وَأَخَذنَ مِنكم مِيثَاقًا غَليظًا " [١]وفعل الكفران هذا يقوض آصرة هذا الميثاق الذى أخذه المولى عز وجل على الزوجين، وإن

[١]النساء من الآية ٢١ .

كان في النساء من يصدر منهن هذه الأفعال فهذا لا يناقض أبدا وجود نماذج مشرفة لنساء فضليات لا يذكرن أزواجهن إلا بكل خير، نساء كن الدعم والسند والعضد لأزواجهن، ولنا في أمنا خديجة الأسوة الحسنة في البذل والتضحية والعطاء، ولكنه – صلى الله عليه وسلم – يريد أن يعالج داء استشرى في بعض نساء الأمة، ووجد أكثر من في النار من النساء فأراد لنساء المسلمين الخلاص من هذه الخصال، حتى لا يستسهلن مثل هذه الأمور فلو علمت النساء عاقبة هذه الخصال التى ربما ألجأتها إليه العادة وجريان اللسان لأقلعن عن هذه الأمور بعد إدراكها لمغبة فعلها .

ولم يكتف – صلى الله عليه وسلم – بهاتين العلتين لكونهن أكثر أهل النار بل ذكر حقائق أخرى عن طبيعة المرأة وإن لم يكن لهن يد فيها فقال "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " .

وإن كان جل شراح الحديث يرون من قوله – صلى الله عليه وسلم – تعليلا لكونهن أكثر أهل النار كما في العبارة السابقة عليها، فيقول صاحب فتح البارى : "لأنهن إذا كن سببا لإذهاب عقل الرجل الحازم حتى يفعل أو يقول ما لا ينبغى فقد شاركنه في الإثم وزدن عليه"[1] .

إلا أننى أرى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أراد أن يطيب خاطر النساء ويسليهن عن الحكم السابق " إنى نظرت إلى أهل النار فوجدت أكثرها من النساء "، وعن سببه" تكثرن اللعن، وتكفرن العشير" وذلك للأسباب الآتية :

[1] فتح البارى لابن حجر العسقلانى ١/ ٤٠٦ .

١- أن نقصان عقل المرأة ودينها أمر فرضته عليها الطبيعة، كما بين ذلك – صلى الله عليه وسلم – في جوابه للسائلة فكيف يعاقبها المولى عز وجل على أمر كتب عليها ؟

٢- لما كان في قوله – صلى الله عليه وسلم – تكفرن العشير ما يوحى بانصراف الرجال عن النساء، لهذا السبب فذكر – صلى الله عليه وسلم – تمسك الرجال بالنساء، وذهابهن بعقولهم على الرغم من ذلك فإن أقلعن عن هذه الخصلة المذمومة نلن رضا الله وعفوه ،والنجاة من النار، وفي تقييد الرجال بصفة الحزم ما يدل على قوة تأثير النساء .

- فها هو المعلم الجليل يقرع أسماع النساء بما سيئول إليه حالهن إن بقيت فيهن هاتين الخصلتين الذميمتين، ثم يلمس بحسه وفطنته حالة الهلع التى أصابت النساء فيعمد إلى ما يخفف عنهن هذه الحالة، فيذكر شدة تأثر الرجال بهن، فليس نقصان عقل المرأة ودينها منقصة لها ولا ذم، ولكن مثار للتعجب والدهشة من قدرة النساء حيث تغلب الرجل الحازم العاقل على الرغم من نقصها عنه وفقا لطبيعة تكوينه، ويستمر الحوار بين معلم الأمة ومن يستمعن إليه من النساء، وتتجاهل النساء الأوصاف السابقة من كثرة اللعن وكفران العشير، وكأنهن لمسن في أنفسهن هذه الخصال بالفعل فتوجهن بالسؤال إلى العبارة الأخيرة فقط، وقلن : " وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟" تلك هى نساء الأمة اللائى يحرصن على أمور الدين أكثر حرصهن على أمور الدنيا، فعلى الرغم من تقديمه – صلى الله عليه وسلم – نقصان العقل على الدين في قوله " ناقصات عقل ودين " إلا أن النساء سارعن بالاستفهام عن سبب نقص الدين أولا، فهو أول ما يعنيهم أمره فضلا عن تبعة العقل للدين، فلو كمل الدين كمل العقل لا محالة .

- لم تسأل النسوة عن حقيقة النقصان ولم ينكرنه لتسليمهم المطلق بحقيقة كلامه – صلى الله عليه وسلم – وصدقه الذى لا يقبل شك، إلا أن سؤالهم كان عن أسباب ذلك النقصان، ويأتى المعلم والمربى ليضع إجابته في قالب هو الأوفق والأليق في هذا المقام، جاء جوابه بأسلوب الاستفهام فقال " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ "، وكان يمكنه – صلى الله عليه وسلم – أن يكون جوابه إخبارا فيقول "شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، ولكنه أراد حمل النساء على الإقرار بما سبق عليهن فيتقبلن الوصف السابق بأنهن ناقصات عقل، فما جاء الاستفهام لتقريره بأمر ثابت لديهن، وما قصد بالاستفهام إلا الإقرار بذلك الثابت حتى يرضخن لهذا الحكم ويذعن له بعد الإقرار بعلته، وكأن الاستفهام ذكرهن بتلك الحقيقة، فما يجدن بعد ذلك بدا ولا مناصا من الإقرار والاعتراف بها، ولا يمكن للصحابيات الباحثات عما يقيهن عذاب النار، والفزعات من كونهن أكثر أهل النار بأن يجادلن في الحق بعد ظهوره، وخاصة إذا كان الحوار مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فبادرن بالتصديق لهذا الاستفهام، واعترفن بما يحمله بقولهن "بلى "، إجابة صريحة لا تحتمل أي محاولة للهرب أو المراوغة، فإنشاد الحق هو هدفهن والتعلم هو الهدف المنشود الذى تصبو إليه أنفسهن .

- وكيف يتسنى لهن الحجاج والمجادلة وذلك قول الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى، وهو مستمد من قول الله تعالى " فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى "[1] .

---

[1] البقرة من الآية ٢٨٢ .

- وربما ما حملهن على سرعة الإجابة أن الدافع وراء هذا هو طبيعة تكوين المرأة، لكثرة نسيانها وقوة عاطفتها، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى " أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى "، وشهادة المرأة نصف شهادة الرجل أمر مقتصر على إثبات الحقوق المادية في الدين وغيره، أما في القضاء فلا فرق بين شهادة الرجل وشهادة المرأة، ولما تم إقرارهن بالشق الأول من النقصان، وحقق أسلوب الاستفهام الهدف التعليمى المنشود، قيس عليه الشق الثانى فقال – صلى الله عليه وسلم – "أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن بلى، قال ذلك من نقصان دينها ".

فمن خلال أسلوب الاستفهام حقق النبي الغرض من هذا الحديث وهو :

١- تحذير النساء وتخويفهن من مصيرهن يوم القيامة .

٢- بيان السبب وراء ذلك .

٣- حملهن على الاعتراف والإقرار بما جاء في الحديث وتبقى المرأة في التشريع الإسلامى صنو الرجل في الجزاء، مصداقا لقوله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * "[١]

ولكنه الهادى والنذير الذى يريد لنساء أمته كما لرجالها أن يتجنبن ما يوردهن موارد الهلكة، فيسلك بهن دروب النصح والوعظ والإرشاد ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – أرحم الخلق، وشهد له بذلك الكافر قبل المؤمن، هو منة الله على الناس يمسح آلام أمته ويخفف

---

[١] النحل ٩٧ .

أحزانها، لما أرسله الله لعباده سكب في قلبه من العلم والحلم، وفي خلقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرقة، وفي يده من الجود والندى، ما جعله أزكى عباد الله وأوسعهم قلبا، وأرحبهم صدرا .. قال تعالى " { وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[1].

****

[1] الأنبياء : ١٠٧

أسلوب طرح السؤال في حديث النبي عليه السلام للمرأة

[خصائصه ومزاياه]

طرح السؤال

الاستفهام في اللغة : الفهم : معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء عقلته وعرفته، واستفهمه: سأله أن يفهمه" [١].

وفي الاصطلاح : هو طلب الفهم، والفهم : هو حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيئته في العقل"[٢]

ويعد أسلوب الاستفهام من الأساليب الشائعة في لغتنا العربية للوصول إلي أهداف المتكلم وأغراضه، كما أن له دورا لما لا يخفي في الحوار، ..... من معاني الإيحاء، وقوة التأثير، والتنبيه، وإيقاظ الذهن، وتوجيه الفكر، ومخاطبة العقل والوجدان، فهو وسيلة للوصول إلي المعرفة بطريقة مثيرة للعقل والوجدان، وتبعث فيهما شعورا بالارتياح والطمأنينة، والعدول عن الإخبار إلي الاستفهام لبيان حرص المتكلم علي تأكيد المعاني التي يرسلها إلي المخاطب، وتذكيره بها أملا أن يكون لها الأثر الذي يرجوه، وفضل أسلوب الاستفهام عن الإخبار أن المستفهم كأنه سأل غيره عن هذه الحقيقة وهو يعلم أنه لن يجد بدا من الإقرار بها، وفي هذا وثوق بالأمر"[٣] .

---

[١] اللسان مادة فهم .

[٢] مفتاح العلوم للسكاكى ٣ ،ط ٢ / دار الكتب العلمية / بيروت، ودلالات التراكيب ٢٢٣/ د. محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة ط٥ ١٤٢٥ هـ / ٢٠١٤ م .

[٣] معانى التراكيب دراسة تحليلية فى علم المعانى د٠ عبد الفتاح لاشين صـ ٨٨ دار الكتاب الجامعى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

وطرح السؤال من الوسائل التعليمية الجيدة في مد جسر التواصل بين المعلم وتلاميذه لما يقوم به من إثارة ذهن المسئول وتركيز اهتمامه في البحث عن الإجابة، كما يحدث نشاطا ذهنيا كبيرا، وتلك هي غاية التعليم، خلق نشاط فكري، وتوليد أفكار جديدة تبني بها شخصيات قوية تبني مجتمعا قويا.

ويعد أسلوب الاستفهام من الأساليب التي اعتمدها القرءان الكريم والحديث النبوي الشريف، للوصول بالمتلقي إلي المعني المراد ودلالاته الكامنة في النص بدلا من الأسلوب المباشر، حيث يكسب النص غني وثراء، لما له من بالغ الأثر في المتلقي، ونري الاستفهام بوضوح في أساليب المنهج النبوي في تعليم المرأة تصحيحا لمفاهيمها وغرسا لقيم دينية وعقائدية وتعديلا لفكرة ربما كانت سائدة لديها، وفضلا عن أهميته البالغة في عملية الإقناع والتواصل والفهم، حيث يتم من خلاله معالجة بعض الأخطاء، وتعليم نساء المسلمين أمور دينهن بصورة أكثر تأثيرا، حتي يقمن بدورهن في المجتمع المسلم كما أراده لهن النبي – صلى الله عليه وسلم –

- وطرح السؤال جاء في البيان النبوي بصور متعددة منها :

١ – أحيانا يجيب النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه عن سؤال لم يسأله أحد لما يحمله من شبهة قد تجول في نفوس أحدهم فيعلم أصحابه جواب تلك الشبهة قبل حدوثها، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " يأتي الشيطان أحدكم فيقول :

من خلق كذا، وكذا، حتي يقول له : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته"[١]

٢ – وأحيانا يقصد النبي – صلى الله عليه وسلم – بتوجيه سؤاله إثارة اهتمام المخاطبين وتشويقهم إلي الجواب بما يجعله أوقع في النفس، وأثبت في العقل، من ذلك ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال "ألا أدلكم علي ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلي يا رسول الله، قال : إسباغ الوضوء علي المكاره وكثرة الخطي إلي المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذالكم الرباط "[٢]،وقد يجيب النبي عن سؤاله قاصدا إثارة انتباه المخاطبين للموضوع، ومن ذلك حديث معاذ بن جبل عن أنس عن معاذ قال :" بينما أنا رديف النبي – صلى الله عليه وسلم –فقال يا معاذ، قلت : لبيك وسعديك . ثم قال مثله ثلاثا " هل تدري ما حق الله علي العباد . قلت : لا، فقال " حق الله علي العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا "، ثم سار ساعة فقال " يا معاذ " قلت : لبيك وسعديك قال : " هل تدري ما حق العباد علي الله إذا فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم " [٣].

---

[١] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان / باب بيان الوسوسة فى الإيمان وما يقوله من وجدها ١٣٢/١ رقم ١٣٣

[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الطهارة /باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ٢٢٧/١ رقم ٢٥١

[٣] أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الاستئذان باب من أجاب بلبيك وسعديك ١٦٤/٤ حديث رقم ٦٢٦٧

٣- وأحيانا يجيب النبي – صلى الله عليه وسلم – عن تساؤلهم بسؤال آخر قصدا إلي أهمية السؤال الثاني، أو إلي توجيه فكرهم اتجاها آخر، أو لإثارة ذهنهم .

ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه أن سائلا سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الصلاة في ثوب واحد فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " أو لكلكم ثوبان؟ "[١]

٥ ـ وقد يكون سؤاله – صلى الله عليه وسلم – عن شيء معلوم لديهم فيجيبون بما يعلمون، فيلفت أنظارهم إلي معني آخر لم ينتبهوا له من قبل، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :" أتدرون من المفلس ؟ قالو المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار، فقال : " إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار"[٢] .

وأحيانا تختلف إجابات النبي – صلى الله عليه وسلم – علي السؤال مراعاة لحال السائل والمقتضي، فكان يخاطب كل سائل بقدر فهمه، وبما

---

[١]صحيح البخارى كتاب الصلاة / باب الصلاة فى ثوب واحد ملتحفا به رقم ٣٥٨

[٢]أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة والآداب : تحريم الظلم ٢٧٣/٤ رقم ٢٥٨١

يلائم منزلته وحاله، فعن أبي موسي – رضي الله عنه قال : قالو يا رسول الله : أي الإسلام أفضل قال : " من سلم المسلمون من لسانه ويده "[١](٣)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – " أي الإسلام خير ؟ قال :" تطعم الطعام، وتقرئ السلام علي من عرفت ومن لا تعرف"[٢] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل أي العمل أفضل؟ فقال ::" إيمان بالله ورسوله " قيل : ثم ماذا ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله "، قيل : ثم ماذا ؟ قال :" حج مبرور"[٣] .

****

[١]أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الإيمان / باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١/١١ رقم ١٠.

[٢]أخرجه البخارى فى صحيحه / كتاب الإيمان باب إطعام الطعام من الإسلام ١/١٢ رقم ١٢

[٣]أخرجه البخارى فى صحيحه / كتاب الإيمان باب من قال أن الإيمان هو العمل ١/١٥ رقم ٢٦

الاستفهام

الحديث الأول

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَي رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَي الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ، قَالَ النَّبِيُّ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِ: إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ ،فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَعْنِي : وَجْهَهَا ،وَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟؟ قَالَ :نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا؟؟"[١]

بين يدي الحديث :

إذا كان الحياء شعبة من شعب الإيمان، وكثيرا ما أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالتخلق به، إلا أن الأمر حينما يتعلق بالعلم بأمر من أمور الدين، فإن الحياء قد يقف حائلا دون الوصول إلي حقيقة علمية، لذا نري الصحابة في عهده – صلى الله عليه وسلم – لا يستحون أن يسألوا عما يشكل عليهم في أمور دينهم، ويستوي في ذلك الرجال والنساء ،بل أن السيدة عائشة – رضي الله عنها –امتدحت نساء الأنصار بتركهن الحياء حيث قالت : "نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين "[٢]**، والمرأة المسلمة حريصة علي العلم بأمور دينها، وإن كان للحياء سطوته التي تغالب خلق الصحابيات، إلا أن**

---

[١]صحيح البخارى ،كتاب العلم /باب الحياء فى العلم ، حديث رقم ١٣٠

[٢]صحيح مسلم ، كتاب الحيض / باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المنى منها ، حديث رقم ٣١٣

حب العلم والمعرفة والرغبة في التفقه في أمور الدين وفق ما يري المعلم الأعظم – صلى الله عليه وسلم – هو الغاية والهدف الذي لا تدانيه سطوة مهما عظمت .

الاستفهام منهج للتعليم :

بدأت الصحابية الجليلة –رضي الله عنها – كلامها بأسلوب النداء " يا رسول الله " وعظمته – صلى الله عليه وسلم –لا يعوزها حرف نداء للبعيد وكذا نعته بكونه رسول الله، فالعظمة والجلال والهيبة تحيطان به – صلى الله عليه وسلم –في كل نعوته وصفاته، ولكن هذا نداء دأب الصحابة عليه في حديثهم معه – صلى الله عليه وسلم –، وتلمح الذكاء والفطنة لدي هذه الصحابية الجليلة، حيث مهدت لسؤالها بتمهيد استقته من كلام المولي عزوجل . فقالت " إن الله لا يستحيي من الحق " لتقوي علي الحديث في شأن تتحرج منه النساء فتستمد القوة والجرأة من كلام القوي العزيز " والله لا يستحيي من الحق " [1]، وبهذا التمهيد وتلك التوطئة قدمت أم سليم عذرها قبل أن يوجه لها أي لوم من الحضور، وربما قصدت بعذرها هذا تشجيع نفسها عما انتوت الحديث عنه، وقد تكون قصدت بهذا اعتذارها للنبي – صلى الله عليه وسلم – عن حديثها في هذا الشأن، لذا جاء اعتذارها بقولها " إن الله لا يستحيي من الحق "، ولم تقل " لا حياء في العلم " مثلا، ولكنها جعلت قدوتها في هذا الأمر هو المولي عز وجل، فيقوي سندها وحجتها لطرق مثل هذا الموضوع شديد الحياء، فضلا عن ذكره بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الحيي، فضلا عن أن من ألقت هذا السؤال هي صحابية جليلة، والحياء من سمات النساء،

---

[1] الأحزاب ، من الآية ٥٣ .

فأسباب الحياء ودواعيه كثيرة ومتعددة، إلا أن داعي التفقه في الدين أكبر وأكثر إلحاحا، ولشدة حاجة السائلة إلي قوة حجتها جاءت االعبارة المدلاة بها عن تلك الحجة مؤكدة ب "إن "، وإسمية الجملة، وهذه العبارة الافتتاحية أوحت بأن الكلام الآتي بعدها فيه حياء قد يؤخذ عليها، والحياء المنفي عن طلبة العلم مقصود منه ترك الحديث فيما يعاب، لذا كان نفي الحياء عن المولي عز وجل علي سبيل المشاكلة اللفظية، فمعناه في حقه تعالي الترك والمنع، أي أن الله لا يمتنع عن بيان الحق، فكذا السائلة لا تمتنع من سؤال ما يشكل عليها أمره، وبعدما اطمأنت إلي سلامة موقفها بقياسه علي أمر إلهي ألقت بسؤالها قائلة " فهل علي المرأة من غسل إذا احتلمت ؟"، سؤال وإن كان يبدو صريحا إلا أنه يحمل الحياء في جنباته وذلك من عدة أوجه :

أولا : تعبيرها بالمرأة دون أن تقول هل علي، فلا بد وأنها تسأل عن حادثة حدثت لها .

ثانيا : تعبيرها بالكناية " احتلمت " عن الجماع .

ثالثا : تصدير الاستفهام بالفاء، وزيادة (من) قبل (غسل) يوحي بالتكسر في الكلام، واللجلجة فيه .

ثم يأتي دور المعلم والمربي فيفصل القول ويبين الحكم بما لا يخدش حياء فيقول : " إذا رأت الماء "، فلما كان السؤال عن أمر عام " إذا احتلمت " جاء جوابه – صلى الله عليه وسلم – فيه تفصيل للحكم " إذا رأت الماء "، وبمنهج تربوي قويم يراعي فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – الجانب النفسي للسائلة ويحرص علي حيائها، فيأتي جوابه علي نفس نسق سؤالها فيقول " إذا رأت " بضمير الغائب، ولم يأت الجواب بضمير

الخطاب، فالسؤال عن أمر فيه ما يخجل، لذا أجرته السائلة علي لسان امرأة لم تجره علي لسانها، لذا كانت إجابته – صلى الله عليه وسلم – فيها ما يخفف من شدة خجلها .

ومن مراعاته – صلى الله عليه وسلم – لحياء السائلة ذلك الإيجاز الذي جاء عليه الحكم، حيث حذف جواب الشرط فقال : " إذا رأت الماء "، وتقديره " فعليها الغسل "، كذا استعماله – صلى الله عليه وسلم – الكناية عن المني بقوله : " الماء "، وجاء رد فعل الحضور فغلب طابع الحياء، وعبرت عن ذلك بصورة عملية فغطت أم سلمة وجهها "، لقد استحت من حديث في أمور تخدش الحياء علي الرغم من أنه مع زوجها، – لله درهن من نساء حملن بكل فخر وإعزاز وجدارة لقب أمهات المؤمنين –، وإذا كانت راوية الحديث هي أم سلمة فكيف عبرت عن نفسها بقولها " فغطت أم سلمة وجهها " ولم تقل فغطيت وجهي، ربما قصدت إلي الالتفات لما اعتراها من حياء أيضا، ومرة أخري يغلب التفقه في الدين الحياء، وتبادر أم سلمة النبي – صلى الله عليه وسلم – بقولها " يا رسول الله : أوتحتلم المرأة ؟"، هو زوجها وكان بإمكانها أن تسأله بمعزل من الناس، ولكنها أم المؤمنين تريد أن تكون الفائدة للأمة بأسرها، فضلا عن السائلة، وإن كان السؤال حقيقيا إلا أن فيه تعجب، فأجاب النبي – صلى الله عليه وسلم – بما يزيل هذه الدهشة بقوله " نعم "، وزاد عن ذلك بأن قدم لها العلة والسبب لهذا الجواب حتي تزول هذه الدهشة فقال : " تربت يمينك "، تلك الجملة الدعائية التي لا يقصد بها الدعاء، ولكنها جرت علي لسان العرب عند إنكارهم لشيء، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – ينكر علي أم سلمة – رضي الله عنها تعجبها من رده – صلى الله عليه وسلم – علي أم

سليم، وحتي يؤكد النبي – صلى الله عليه وسلم – علي حكمه ويزيل كل شك ودهشة لدي الحضور جاء باستفهام هو في حقيقته جواب قاطع ،ودليل دامغ علي صحة الكلام السابق :" فبم يشبهها ولدها ؟"، أي تربية هذه ؟؟ وأي تعليم هذا الذي يتدرج فيه المربي مع سائليه ويستقبل ما يطرحونه من أسئلة ؟؟ ويراعي في جوابه حالتهم النفسية وما يعتريهم من حياء أو استغراب واندهاش، ويقدم لهم الحجج الدامغة، والأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة، لإزالة ما يعتريهم من شك وما يساورهم من قلق وتعجب .

وجاء الاستفهام بدلالاته وإيحاءاته ليزيل ما علق بالنفوس، فلم تكن الإجابة بنعم كافية، إلا أن الاستفهام جاء دليلا كافيا ودامغا علي أن المرأة تحتلم، فشبه الولد بأمه أمر قاطع، ودليل قائم، مما يجعل المستمع يصل إلي الإجابة بنفسه، ويصل إلي المعاني، وتتجلي حقيقتها، ويقرر في نفسه، فتتمثل له عين الحقيقة ويزول إشكالها، ويتعلم ما طلبه فهمه .

لقد اختار– صلى الله عليه وسلم – الاستفهام في هذا المقام لتعليم المرأة أمرا كان يصعب عليها أن تفهم حقيقته ويستقر في عقلها بدون الاستفهام، خاصة وأن القضية المطروحة حملها أسلوب الاستفهام ذاته، وكان حسم هذه القضية ودليل تأكيد إجابته – صلى الله عليه وسلم – جاء بنفس الأسلوب، لتجيب السائلة عن نفسها، وتتيقن يقينا لا شك فيه من صحة هذه الإجابة .

صلى الله وسلم عليك يا معلم البشرية ،وهادي الحياري، ومخرج الناس من الظلمات إلي النور.

****

الحديث الثاني

النمرقة

حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَي الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَي اللَّهِ وَإِلَي رَسُولِهِ مَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ فَقُلْتُ اشْتَرَيْتُهَا لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَلِتَوَسَّدَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ بِهَا يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَقَالَ إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورَةُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ"[1].

بين يدي الحديث

إن المرأة المحبة لزوجها تسعي دائما لإسعاده بتهيئة نفسها وبيتها، وبما يدخل السرور علي قلب زوجها، وهكذا فعلت أمنا عائشة حبيبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فاشترت وسادة لتزين بها بيتها، وليجلس عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويستريح، ولم تكن تعلم حكم التصاوير التي كانت عليها، ولما رءاها النبي – صلى الله عليه وسلم – امتنع من دخول البيت، وعرفت السيدة عائشة بحكم معاشرتها له وعلمها به أن هناك أمرا يكرهه – صلى الله عليه وسلم –، وقرأت ذلك في

١– [1] صحيح البخارى كتاب البيوع / باب (التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء)رقم ٢١٠٥ .

تقاسيم وجهه الشريف، فتوهمت أنها أذنبت ذنبا، فأخبرها المعلم والمربي – صلى الله عليه وسلم – بأن الرسوم التي علي الوسادة تمنع الملائكة من دخول البيت .

طرح التساؤل بين الزوجين منهجا تعليميا :

لقد مهدت السيدة عائشة للقضية الرئيسة لهذا الحديث بقولها فيما روته " أنها أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، ولا بد أن خبرها هذا كانت تقصد منه إدخال البهجة عليه، لذا بادرت بإخباره قبل قدومه إلي المنزل، فضلا عما تشير إليه هذه العبارة من ضرورة مكاشفة الزوجة لزوجها عن كل ما تقوم به في غيابه، وألا تخفي عنه شيئا، فالسيدة عائشة لم تكتف بذكر شرائها للنمرقة، بل ذكرت أوصافها أيضا وقالت : "فيها تصاوير "، والحدث بجملته تعلق بهذا الوصف، ثم تلاحقت الأحداث وتتابعت بعد ذلك، فلما رءاها – صلى الله عليه وسلم – قام علي الباب فلم يدخله، والتعبير ب" لما " أوحي لنا بشدة كراهية النبي – صلى الله عليه وسلم – لوجود تلك التصاوير في بيته، وجعل عدم دخوله البيت جوابا مترتبا علي جملة الشرط "فلما رءاها "، وتعاقبت عليها جملة " فلم يدخله "، والفترة الزمنية بين الجملة الأولي وهي "إخبارها النبي – صلى الله عليه وسلم – بشرائها نمرقة فيها تصاوير"، و "رؤيته لها "، "وقيامه علي الباب وامتناعه من دخوله " ليست طويلة، ولا شك أن علامات الضيق والغضب كانت ظاهرة علي وجه النبي – صلى الله عليه وسلم –، مما لا يخفي علي أحب نسائه إليه، فوقع في نفسها أنها فعلت منكرا، فسارعت بإعلان توبتها عنه قبل أن تعرف حقيقته فقالت :" يا رسول الله أتوب إلي الله وإلي رسوله، فقرأت من علامات وجهه مكنونات نفسه الشريفة، فعلي الوجه

تظهر المشاعر، ومنه تصدر كثير من الرسائل التي يظهر منها الاتجاه والسلوك والسرائر، فأعلنت توبتها من ذنب لا تدري طبيعته، ولكنها تدرك طبيعة الزوج الحبيب والنبي الأمين الذي لا يغضب لنفسه قط، وإنما كان ما يغضبه هو لدين الله وانتهاك حرماته لا سيما إذا كان ذلك في بيته الشريف، فتوجهت إلي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معلنة براءتها وتوبتها في أسلوب يملؤه الوقار والجلال، فهي تضمن لنفسها التوبة من الذنب.

ثم تسأل عن طبيعة هذا الذنب فتقول : " ماذا أذنبت ؟ "، وقد عبرت بأسلوب الاستفهام الإنشائي حتى تعلم سر غضبه (صلى الله عليه وسلم)، ولاتعود لذنبها، هي تعلم علم اليقين أن هناك ذنبا اقترفته من إيماءة وجه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وظهور الكراهة علي وجهه، فهو لم يوبخها ولم يتكلم حين رأي النمرقة التي فيها تصاوير، وذلك أسلوب تربوي رائع في إصلاح الخطأ والتعامل مع المخطئ، وعرفت السيدة عائشة كراهة النبي – صلى الله عليه وسلم –الأمر من وجهين : من علامات وجهه الكريم ومن وقوفه علي الباب وامتناعه عن الدخول، فكان الإنكار بالفعل أبلغ من الإنكار بالقول، ويأتي الجواب علي استفهام السيدة عائشة رضي الله عنها متضمنا طرح سؤال آخر مما يعد أسلوبا تربويا في تعليم الزوجة وتربيتها وتنبيهها علي أن هناك مخالفة ما حدثت منها، ولم يكن المقصود من هذا الأمر هو تعليم السيدة عائشة فقط بل الأمة بأسرها، فبدأ جوابه – صلى الله عليه وسلم – بطرح سؤال قائلا مابال هذه النمرقة ؟"، قاصدا بهذا الاستفهام التحقق من غرض أم المؤمنين من شراء هذه الوسادة، أو هي فرصة أعطاها لها – صلى الله عليه وسلم – لتعبر عن غرضها،

وليشركها في الحوار احتراما لها وتقديرا لشخصها، وكان سؤاله – صلى الله عليه وسلم – بعد أن تهيأت السيدة عائشة بأن هناك مخالفة ما، وسألت عن حقيقتها وجوابه هذا يظهر طبيعة معالجته – صلى الله عليه وسلم – للأمور، وكيفية تربيته لأهل بيته وأمته، فهو في غاية الهدوء والتوازن وإن كان غاضبا إلا أن غضبه هذا لم يخرجه عن هدوئه، فلم يزجرها أو يوبخها كما هو حال واقع الأزواج هذا الزمان.

وقد عبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالظاهر" مابال هذه النمرقة؟" موضع المضمر" ما بالها؟"ليخصها ويؤكد عليها، وأنها سبب غضبته، حتى تتجنب الزوجة المؤمنة ما أغضبه، وتظهر صيغة "ما بال" في بيان النبي – صلى الله عليه وسلم – بكثرة، "وهي تعبر عن الإنكار والغضب، فهي صيحة معبرة عن انفعال الغاضب، وإنكار جاف لحالات سلوكية خارجة علي روح الشريعة"[١].

ولكن كيف جاء جواب أمنا عائشة ؟ هل اعترضت علي سؤاله ؟؟ ..أم أبدت ندمها علي شرائها له؟؟ ..أم تأففت من الجواب؟؟.. كلا إنها ابنة الصديق وحبيبة المصطفي – صلى الله عليه وسلم – أجابت بما يوضح الغاية من الشراء وهي متألمة لتسببها دون قصد في ضيق النبي – صلى الله عليه وسلم – وضجره، فقالت : " اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها "، فهي ذكرت العلة والغرض الذي من أجله اشترت هذه الوسادة، وأضربت عن ذكر التصاوير التي هي سبب الكراهة والإنكار، فإجابتها جاءت بما اعتقدته، وإضرابها كان عما لم يرد في ذهنها، فكان غرضها من شراء تلك

---

[١]السمات البلاغية فى بيان النبوة د.صباح عبيد دراز صـ ٢٢٢ مكتبة وهبة ١٤٣٥ هـ /٢٠١٤ م

الوسادة هو راحة النبي – صلى الله عليه وسلم –، فهي غافلة عن أن كراهته – صلى الله عليه وسلم – لأجل التصاوير التي عليها، وليس مجرد فرشها أو تزين البيت بها .

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم)"يعذبون بها" إجمال، تفصيله وسببه:" يقال لهم ... "، وقد عدل عن الظاهر"أحيوا هذه الصور" إلى الموصول في قوله"أحيو ما خلقتم" لأن الموصول بين وأكد أن هذا صنعكم، وأنكم تعذبون بما كسبت أيديكم، فهو فعلكم أنتم لا فعل غيركم، ففيه تخصيص وإلصاق لهم بفعلهم، أما الظاهر فلا تخصيص فيه، فيوحي بأن هذه الصور قد تكون من صنعهم أو من صنع غيرهم، فالموصول أبلغ.

وبعد أن علم النبي– صلى الله عليه وسلم – غرض السيدة عائشة من شراء هذه الوسادة وخلو ذهنها من سبب غضبه، عقب علي قولها بجملتين تعليليتين مؤكدتين لإبراز خطورتهما فقال :" إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون، فيقال لهم أحيوا ما خلقتم، إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة "، فبدأ بأشدهما ترهيبا ووعيدا، لاستحضار ذلك المشهد، لحرصه علي أمته، وإبعادهم عن مواطن الهلكة والعذاب، والتعليل الثاني يتعلق بأمر دنيوي يحرص عليه كل مسلم :" إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة "، وهنا ظهرت علة امتناعه لدخول البيت، وإن كانت هذه الجملة هي الأولي بالتقديم إلا أنه – صلى الله عليه وسلم – قدم أمر الآخرة علي أمر الدنيا، ولهذا بعث – صلى الله عليه وسلم –، وبهذا يعلم أمته – صلى الله عليه وسلم – في شخص السيدة عائشة، وهكذا تناول النبي– صلى الله عليه وسلم – قضية خطيرة، وحكما شرعيا " بيان إنكار التصاوير في البيت" بأسلوب طرح السؤال الذي ألقاه علي

السيدة عائشة رضي الله عنها، وكانت له قيمة جليلة في إيناس زوجه، وفتح حوار معها، وعدم إلقاء اللوم والتوبيخ، ولم يلق لها اللوم مباشرة، بل مهد له بحوار مهذب متوازن، قدم نيه الحكم بعلته ليكون أكثر قبولا وإذعانا .

صلى الله عليك وسلم يا معلم الأمة وهاديها، ومخرجها من ظلمات الجهل إلي نور الإيمان .

****

أسلوب التعريض في حديثه صلى الله عليه وسلم عن المرأة [خصائصه ومزاياه]

أسلوب التعريض

التعريض خلاف التصريح، والمعاريض : التورية بالشيء عن الشيء "[١]

وهو أن تقول كلاما لا تصريح فيه بمرادك منه، لكنه قد يشير إليه إشارة خفية، ويمكنك أن تتهرب من التزام ما أشرت به إليه إذا صرت محرجا.

وفي اصطلاح البلاغيين : أن يطلق الكلام ويشار به إلي معني آخر يفهم من السياق، كقولك للمؤذي[٢]: " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ "[٣]، فهو من فنون القول غير المباشر، ويعتمد فيه غالبا علي قرائن الحال لا علي قرائن المقال، وهو أخفي من الكناية، لأن الكناية لا تقتصر قرائنها علي الحال فقط، بل علي قرائن المقال أيضا .

وله فوائد عديدة منها :

١- الستر فيما يخدش الحياء .

٢- التنبيه دون تجريح أو إيذاء.

٣- النصح المغلف لتجنب الفضيحة .

٤- إمكانية التراجع عن الأمر .

---

[١] لسان العرب ، مادة (عرض)

[٢] البلاغة العربية فى ثوبها الجديد د. بكرى شيخ أمين ١٤٩/٣ ط دار العلم ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

[٣] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده،: ٥٧/١ .

٥- إقامة العذر لمن لا يفهم .

وقد استخدم النبي – صلى الله عليه وسلم ـ أسلوب التعريض في استمالة النفوس والعقول الواعية والبصائر النافذة، مما له أكبر الأثر في الخضوع إلي الحق، والعدول عن الخطأ، فالنفوس البشرية لا تقبل أن تواجه بقوة وصرامة، ولا تتحمل أن تواجه بعيوبها وأخطائها، وهناك من الألفاظ الموحية والعبارات اللطيفة التي يمكن أن تؤدي الغرض دون جرح لمشاعر الآخرين أو مواجهتهم بالخزي والانكسار والهزيمة، وذلك لرفع الحرج عن النفس، واستثارة داعي الخير فيهم، وترغيبهم فيما يراد منهم، وكم من أثر بالغ لتلك الإشارات الخفية عليشخصية المتربي يعجز عنه الأسلوب المباشر، مما يشعره باحترامه ومراعاة الجانب النفسي له، وفي بعض المواقف قد يجرح الكلام الصريح والعبارات المباشرة، ويكشف المرء ويعريه، أما التعريض والتورية والتلميح ففيهم لون من التغطية والستر ومراعاة للجانب الإنساني، مما يؤدي إلي زيادة روابط المحبة بين المعلم ومن يقوم بتعليمهم، كما يقوي ثقة المتعلمين فيمن يقوم بتعليمهم، مما يشعر براحة وطمأنينة بين الطرفين .

وحين تتأمل المنهج التربوي للنبي – صلى الله عليه وسلم ـ تجده يستخدم لكل حالة الدواء الناجح لها، فتارة يتحدث عن المسألة حديثا صريحا دون مواربة أو تورية، وتارة أخري يشير إليها إشارة غير مباشرة

مراعاة لحال المخاطب، كما يقول أنس –رضي الله عنه – كان النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قلما يواجه الرجل بشيء يكرهه في وجهه "[١] .

والتعريض يقوم علي تهيئة نفس المخاطب واستمالته نحو مراده، وهو لون من ألوان التلطف بالمخاطب، مما يجعله يقبل علي سماع كلامه، ويصغي إليه علي وجه لا يثير إعراضه أو إذلاله، حيث لا يواجه فيه المخاطب بخطئه، وقد كان – صلى الله عليه وسلم ـ يفعل ذلك في تأديبه وتوجيهه وزجره دون أن يتجه لمخاطب بعينه، بل يجعل نصحه عاما للمخطئ وغيره، فيقول " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا " فيفطن كل منهم إلي مقصوده – صلى الله عليه وسلم ـ وذلك أدعي إلي الاستمالة وأوفق في القبول .

****

[١] أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الترجل ، (باب فى الخلوق للرجال)٤/٨١رقم ٤١٨٢ ، والنسائى فى الكبرى ، كتاب : عمل اليوم والليلة (باب ترك مواجهة الإنسان بما يكرهه) ٦/٧٦ رقم (١٠٠٦٤) .

الحديث الأول

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ قَالَ سَمِعْتُ صَفِيَّةَ تُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ[1] سَأَلَتْ النَّبِيَّ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ فَقَالَ تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَي رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّي تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟؟ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا فَقَالَتْ عَائِشَةُ كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ : تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَي رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّي تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ"[2]

بين يدي الحديث :

تتوافد الصحابيات علي النبي –صلى الله عليه وسلم –يسألنه عن أمور الدين والدنيا، لا يمنعهن حياء ولا هيبة، يحرصن علي العبادة الصحيحة، والعلم الصحيح من مصدره الهادي والمعلم والمربي سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –، كان هذا الداعي أقوي لديهن من الحياء الذي

---

[1] هى أسماء بنت شكل الأنصارية .

[2] أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب : الحيض / باب : (دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع أثر الدم) ٨٨/١ ، رقم ٤١٣ ، ومسلم فى صحيحه ، كتاب الحيض / باب : (استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك فى موضع الدم) ٢٦٧/١ رقم ٣٣٢ .

هو طابع يغلب علي النساء، فسألته هذه الصحابية الجليلة عن كيفية غسل المرأة من الحيض، فأجابها – صلى الله عليه وسلم – بما لا يخدش حياءها، فلما لم تفهم مقصوده – صلى الله عليه وسلم – قامت السيدة عائشة بتوضيح الأمر دون أن تنكر علي السائلة سؤالها، تلك هي المدرسة المحمدية التي لا تفتأ نتعلم منها ما بقينا .

بلاغة التعريض :

في مطلع جوابه – صلى الله عليه وسلم – عن السؤال استخدم الأسلوب المباشر، وإن كان السؤال من واحدة فقط، إلا أن جوابه – صلى الله عليه وسلم – جاء بأسلوب الجمع " إحداكن "، وذلك لون من ألوان الستر أيضا، لئلا يواجه السائلة بالخطاب في هذا الأمر، كما أنه أسلوب تربوي يقصد منه تعليم نساء الأمة بأكملها، وتوجيه الخطاب لعمومهن .

وترك النبي – صلى الله عليه وسلم – لذكاء المرأة ودربتها تفصيل كيفية التطهر بالماء والسدر، فقال " فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ "، وفيهذا الإجمال مراعاة لحياء المرأة، ثم استخدم التفصيل في المواضع التي لا تخدش حياء ولا تستدعي حشمة فقال : " ثُمَّ تَصُبُّ عَلَي رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّي تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا " أي الماء والسدر، واختص الرأس دون غيرها من أجزاء الجسد لكون الماء لا يصل اليها إلا بالتدليك، فضلا عن تهاون بعض النساء في كيفية غسل الرأس لكثافة الشعر وصعوبة وصول الماء إليه، ولم يكتف – صلى الله عليه وسلم – ببيان كيفية الغسل، بل بين الغاية التي تصل إليها في دلكها فقال " حتي تبلغ شؤون رأسها "، ويستمر الحبيب في شرح تفاصيل الغسل فيشرح فيما لا يجد فيه حرجا، ويجمل ويعرض فيما يخدش الحياء فيقول :" ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ " ولم

يقل علي جسدها، ويستمر الكلام بضمير الغائب علي الرغم من وجود السائلة فيقول " ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا " وهذا من تتمة الغسل وهو أمر مستحب، رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا ويرشدنا إلي ما يصلح الجوهر والمخبر، فهو يريد للمرأة المسلمة أن تكون طاهرة البدن طيبة الرائحة، فإن أخبرنا بحرمة طيب النساء الظاهر الرائحة، نراه هنا وقد حث النساء في هذا المقام علي التطهر بالمسك، فالمنع له موجباته، كما أن الحث له مواضعه .

وإذا كان التطهر بالماء والسدر أمرا واضحا للنساء، لذا لم تعقب علي الأمر به سابقا،ولكن التطهر بالفرصة الممسكة لم يعتدنه لذا سألت أسماء " وكيف تطهر بها ؟" ربما كان الاستفهام هنا للتعجب من أن تتطهر بالفرصة ونلمح في سؤال أسماء أنها جرت علي نفس أسلوب النبي – صلى الله عليه وسلم –في خطاب الغائب فقالت " تطهر بها " ولم تقل " أطهر " وكأنها أجرت السؤال علي لسان غيرها، وكأن الأمر لا يعنيها، وهنا لم يشر – صلى الله عليه وسلم – إلي كيفية التطهر، ولا غايته، كما حدث قبل ذلك مما استدعي استفهام الصحابية الجليلة التي لم يمنعها حياؤها من التفقه في أمور دينها، ولذا قالت عائشة –رضي الله عنها – في نساء الأنصار: " نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين "، فقال – صلى الله عليه وسلم – " سبحان الله " متعجبا من سؤالها، أي كيف يخفي هذا الأمر الظاهر الذي لا يحتاج إلي شرح، ولا يزيد في جوابه علي إعادة الإجابة الأولي، ولكنه يلتفت من الغائب إليضمير المخاطب فيقول " تطهر بها "، "لأن دليل المشاهدة أقرب إلي النفس والقلب والعقل من الدليل النظري، لذا لما صعب عليها فهم الخطاب

الموجه إلي الغائب لجأ في تقريب المعني إليها بضمير المخاطب، فليس الخبر كالعيان والمشاهدة "[١]،.

وإن كان التكرار ليس فيه إضافة إلي الإجابة إلا أنه نبه السائل إلي أن الأمر فيه ما يدعو إلي التعريض، فلما استفهمت عن الكيفية كان في ظنها أن الأمر ممكن وأن التوضيح متاح فلما أعاد النبي – صلى الله عليه وسلم – الكلام أدركت بما لا يدع مجالا للشك من نبرة صوته – صلى الله عليه وسلم –ومن إعراض وجهه أن الحياء هو الذي جعل النبي– صلى الله عليه وسلم – يعرض بالإجابة ولا يصرح بها، ورسولنا الكريم لم ينكر علي الصحابية الجليلة سؤالها ولم يصدر منه ما يستدعي التوبيخ أو الإحراج، وهنا يأتي دور أمنا عائشة التي كان لها من الحق أن تتحدث في حضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – فتوضح للسائلة ما لا تستطيعه إلا النساء، وصورت لنا السيدة عائشة كيفية حديثها مع السائلة فقالت :" كأنها تخفي ذلك " أي أنها قالت كلاما خفيا تسمعه المخاطبة ولا يسمعه الحاضرون .

وفي تصوير كيفية الحوار ما يوحي بالحياء والحشمة،فهذا بيت النبوة الذي يلجأ إليه الجميع في كل شيءون الدين والدنيا، فيسعي – صلى الله عليه وسلم – لتقدم التعليم والتوجيه بأسلوب تربوي يبني الشخصية المسلمة ويقدم لها كل ما يصلحها،وتستكمل أمنا عائشة تلك المنهجية التربوية وتسير علي نفس الدرب، فتقدم توضيحها في ثوب من الحشمة والحياء فتقول لها هامسة : "تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ " ولما تم للسائلة جوابها

---

[١]ينظر السنة بيانا للقرآن د/ إبراهيم الخولى ٣١٤ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م ، دار الأدب الإسلامى .

واطمأنت إلي كيفية التطهر التام انتقلت إلي سؤال آخر ،وفي نفس الاتجاه عن غسل الجنابة، فأجابها النبي – صلى الله عليه وسلم –موضحا الفرق بين كيفية الغسلين موجها خطابه إلي ضمير الغائب " فَقَالَ تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَي رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّي تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ " وتلمح من الجواب أن غسل الجنابة فيه من التخفيف والتيسير عن غسل الحيض، وذلك من عدة أوجه:

١ – الغسل بالماء دون السدر .

٢ – لم يضف الماء إلي المخاطبة كما في الأول " ماءها "

٣ – اكتفي – صلى الله عليه وسلم – بقوله " فتدلكه " ولم يصف الدلك بكونه "شديدا".

٤ – لم يشر إلي الفرصة الممسكة .

وإن لجأ إلي التعريض في كل منها وإلي عمومية الخطاب .

وهكذا نري للتعريض من الخصائص والمزايا مالا يحققه الأسلوب المباشر، فحفظ للسائلة حياءها، وللمجلس هيبته ووقاره،وأعطي لمن يحضر المجلس الحق في توضيح الأمر، إذا أيقن أن ذلك يعجب الحضور، كما شجع السائلة بأن تسأل في أمر آخر له صلة بالسؤال الأول.

وفي نهاية الأمر نحن أمام درس تعليمي تربوي توافرت دوافع المعرفة والتربية فيه بأفضل وأقوي وأتم ما تكون، إنه مقام علم وهدف تربوي جليل، موضوعه الطهارة التي تعني كل مسلم، لأنها شرط لقبول أكثر العبادات .

****

أسلوب الحوار [خصائصه ومزاياه]

تمهيد

مفهوم الحوار

مادة الحوار تفيد التجاوب بين الأشخاص، وعلماء اللغة ذكروا للحوار معانى متعددة منها : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء [١]، يقال : حار إلى الشيء وعنه حورا أو محارا ومحارة : رجع عنه وإليه "[٢].

وكل كلام يجرى بين اثنين أو أكثر يقوم على المراجعة والمجاوبة، ويتميز بملمح الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب .

وفي المحاورة ما يؤدى إلى حسن التعامل مع الآراء والأفكار المتبادلة بين المتحاورين، مما يؤدى إلى نجاح الحوار وعدم إخفاقه بين المتحاورين بخلاف الخصومة واللجج والسفسطة.

وقد ورد لفظ الحوار في القرءان الكريم أكثرمن مرة، قال تعالى : "قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير "[٣]

وقولة تعالى "وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثرمنك مالا وأعزنفرا "[٤]، فالحوار مبدأ قرآنى حضارى ترجع مبادئه إلى الدين وتعاليمه،

---

[١] أسلوب الحوار في الحديث النبوي رسالة بلاغية د/ خليل محمد أيوب ..ط دار السوادر ط١ ١٤٢٢هـ /٢٠١٢م.

[٢] لسان العرب لابن منظور ، مادة (حور) ، القاموس المحيط للفيروزآبادى .

[٣] المجادلة ١ .

[٤] الكهف ٣٤ .

والحوار لغة: العقل الواعى الذى تبنى عليه أسس الفهم بين المتحاورين فهو أمرلا غنى عنه في بناء جسر من التواصل للوصول إلى حقيقة ما في قضية خلافية .

والمحاور الجيد ينتقى خير الأساليب المعبرة عن الفكرة التى يريدها وتتناسب مع الموقف الدالة عليه، ولابد أن تكون تراكيب الحوار وعباراته ذات نغمة عامة تتماشى مع موضوع الحوار ،

وللحوار آثار تربوية عديدة ، لذا جعله النبي – صلى الله عليه وسلم – وسيلة هامة في تعليمه للصحابة وفي أخبارهم مما ينزل من تشريع

فعلى المسلمين أن يتعلموا آداب الخلاف، وكيفية التحاور، ومزايا الحوار الناجح وخصائصه، وأن يعلموا يقينا ان من تمام الحكمة الإصغاء إلى قول المخالف وإعطائه فرصه لطرح ما لديه من أفكار ثم الأخذ في مناقشته ومحاولة إقناعه.

لقد كان – صلى الله عليه وسلم – مدرسة للحوار الهادف البناء، وللمعاملة الحسنة وأرشدنا إلى أن اختلاف الآراء لاينبغى أن يصل بنا إلى اختلاف القلوب، وحرصا على وحدة الأمة وصيانة نسيجها من التفكك، والشيطان ينفذ إلى بنى البشر من أى نقطة خلاف ،فلنسد هذه الذرائع من خلال عقول واعية مستنيرة.

وقد قدم لنا النبي– صلى الله عليه وسلم – من خلال أحاديثه الشريفة العديد من النماذج والبراهين ما يشكل نماذج رائعة يهتدى بها ونسترشد في مجال التربية، وكيف لا ومعينها الأصيل ودستورها الأول هو كتاب الله

وأحاديث رسوله الكريم، وما فيها من حوار يخاطب القلوب والعقول، ناظرا بعين الرحمة والاعتبار إلي طبيعة كل نفس ومكوناتها وميولها وقدراتها"[1].

ومنذ بداية الدعوة الإسلامية أخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – بأسلوب الحوار، فأحيانا يلين في حواره، وأحيانا يغلظ فيه، وفقا لكل محاوره وأطرافها، لقد عرف كيفية إدارة الحوار، ومع من تكون، فقد قال جل وعلا : " وجادلهم بالتي هي أحسن "[2]، لذا نجحت الدعوة الإسلامية في امتلاك العقول والقلوب معا من خلال إقناعها وحسن توجيهها).

لقد كان – صلى الله عليه وسلم – مدركا لواقعه، ومعايشا له، كاشفا لطبيعته، وما تنطوى عليه نفوس أصحابه، مما هيأ له – صلى الله عليه وسلم – أسسا ينطلق منها في محاورته معهم، ومن أبرز مميزات حواره – صلى الله عليه وسلم – عن غيره من الرسل أنه كان موجها إلي العقل والقلب معا، وذلك من أهم الأسباب التي جعلت الدعوة الإسلامية تحقق نجاحات متعددة علي المستوى الديني والإنساني في أوجز مدة .

وقد استخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – الحوار وجعله أسلوبا فاعلا في تعليمه للمرأة ليجعل المعنى واضحا مفهوما، ليؤثر فيها ويكسب مشاعرها، منتقيا أفضل الأساليب المعبرة عن الفكرة التي يريد التعبير عنها، مزاوجا بين الإيجاز والإطناب، فمواقف المجد والقوة تحتاج إلي جمل موجزة، ومواقف اللين والعطف تحتاج إلى إطناب، جاءت تراكيب الحوار

---

[1] ينظر الحوار منجها وثقافة ، د/ سعيد إسماعيل علي ، ٨١/٧٩ / ،ط دار السلام ، ط١ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

[2] سورة النحل من الآية "١٢٥"

وعباراته ذات نغمة عامة ملائمة لموضوع الحوار سواء كان في العقيدة أو الأخلاق أو أي أمر آخر .

وحواره – صلى الله عليه وسلم – مع النساء في تعليمهن أمور دينهن إعلاء لقدر المرأة وإعلاء لشأنها، واعترافها بقدراتها العقلية الفائقة، حيث إن أسلوب المحاورة هو عملي عقلي لا يخاطب به إلا ذوى العقول النابهة، والآرآء السديدة القادرة علي الفهم والإصغاء والميل إلي الحق .

****

الحديث الأول

حواره صلى الله عليه وسلم - مع وافدة النساء

حَدَّثنا القاسم بن وهيب الكوفي، قال : حَدَّثنا علي بن عَبد الحميد، قال : حَدَّثنا مندل عن رشدين بن كريب عن أبيه، عَن ابنِ عباس، رَضِي الله عنهما، قال : جاءت امْرَأَةُ [1]إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أنا وَافِدَةُ النِّسَاءِ إلَيْك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن يصيبوا أجروا، وَإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك ؟ قال :فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلِغِي مَنْ لَقِيتِ مِنْ النِّسَاءِ أَنَّ طَاعَةَ الزَّوْجِ وَاعْتِرَافًا بِحَقِّهِ يَعْدِلُ ذَلِكَ وَقَلِيلٌ مِنْكُنَّ مَنْ يَفْعَلُهُ"[2].

بين يدى الحديث:.

لقد جاءت هذه الصحابية الجليلة تحاور النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتحمل إليه غبطة النساء للرجال لاختصاصهم بكثير من الأجر دونهن، وذلك من خلال بعض التكاليف التي اختص الله بها الرجال دون النساء، كالجهاد والجمع والجماعات واتباع الجنائز وغيرها، وهي تخشي كما تخشي بنات جنسها من فوات هذا الأجر العظيم، وهن الراعيات

---

[1] هي الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد ابن السكن الأنصارية أحد نساء بني عبد الأشهل من المبايعات البيعة الكبري ، تكني أم سلمة ، أو أم عامر، وهي ابنة عم الصحابي الجليل معاذ بن جبل ، من ذوات العقل والدين ، يقال لها : خطيبة النساء ، شهدت اليرموك الاستيعاب ٤/ ١٧٨٧ ، وأسد الغابة ١٨/٦

[2] أخرجه البزار في كشف الستار ١٨١/٢ ، رقم ١٤٧٤ ، إسناده حسن وإن ضعفه الألبانى فى ضعيف الترغيب"٥٢٤٠ / ٦٢٤٢" .

للبيوت، القائمات علي حوائج من فيها من أزواج وأبناء، فقدم لها النبي – صلى الله عليه وسلم – ما يعدل كل هذا الأجر، وبين لها السبيل إليه في عبارة موجزة تفيض عذوبة وفصاحة .

بلاغة الحوار :.

في ظل الصيحات العالية المادية بحقوق المرأة تبرز لنا صورة رائعة لامرأة عظيمة من صحابيات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تطالب بحقوق النساء الحقيقية، ولم تكن المطالبة أمام برلمان أو وسائل إعلام، ولكنها كانت أمام نبي الأمة وسيد الخلق، يصغي إليها وهى تبرر مطالبها ومطالب بنات جنسها موضحة جهودهن داخل بنيان الأسرة .

اتسم هذا الحوار بالواقعية وحسن العرض وتوفر فيه آداب الحوار، فبدأت كلامها بتقديم نفسها كما تقتضي أصول المحاورة أو (الإيتيكيت) كما يطلقون عليه الآن، وكان تقديمها بأبلغ عبارة وأوجزها، فقالت : " أنا وافدة النساء إليك"، بالقوة بيانها، وحسن منطقها، فنلحظ من ضمير الخطاب " أنا" امرأة معتزة بذاتها، مقدرة لشخصيتها، كما أنها لم تفصح عن نفسها فحسب، بل أفصحت عن صفتها، فهى تحمل على عاتقها ما تنوء به النساء، فهى تمثل سفيرة النساء، أو المتحدث الرسمى باسمهن، وتحمل عنهن تفويضا فيما تتحدث بشأنه .

وقد عبرت بلفظ (وافدة) دون مبعوثة أو سفيرة أو غيرهما، لما تحمله الكلمة من معنى مفقود في غيرها، فالوفود هو القدوم، وحروف الكلمة دالة عليها، فالواو صوت مجهور منفتح، يليق بجهر المرأة بحالتها، فلم تسرها أو تكنها في نفسها، وكذا الدال مجهور منفتح مجهور شديد منفتح، يوائم ما عليه المرأة من قوة في الحق، وجهر به لحرصها على أمر دينها .

يالها من براعة في الاستهلال تحمل على الانتباه والاهتمام بهذه الوافدة، وما حملته عن النساء من رسالة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولما أثارت تشويقا واهتماما بعبارتها أخذت في سرد مقدمة الحوار فقالت : " هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن يصيبوا أجروا، وَإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون "، فأشارت إلى أعظم ما اختص به المولى عز وجل الرجال وهو الجهاد، واختصت الجهاد لكسب الرجال به الأجر في كلتا حالتيه، وهو ما أشارت إليه جملتا الشرط المتصلتان فينالوا أجر الإصابة وفرحة النصر في الأولى، أو ينالوا أجر الشهادة في الثانية، وتستمر في حوارها الهادئ الهادف، فبعد أن قدمت له بتلك العبارة الموجزة جاءت بالصورة المقابلة، وهى توضح من خلالها في ألفاظ قليلة أبلغ المعانى وأوضحها بأجمل أسلوب، وأوضح عبارة .

فقالت بضمير المتكلمين الذي يحمل معاني الفخر والاعتزاز " ونحن معشر النساء نقوم عليهم" ولما كان عرضها للأمر بتفويض اجتمع عليه النساء، مما يوحى بتلاحم جنسهن عبرت ب " معشر"، فالمعشر هم الجماعة المجتمعة على أمر ما، وفي إضافة الجمع (النساء) إلى المعشر دون النسوة مثلا يقوى إفادة الجمع، لأن النساء جمع نسوة إذا كثرن، وماذا تحمل جملة " نقوم عليهم" من معان وعبارات تنوء بحملها القراطيس من كل ما تقوم به المرأه في بيتها من خدمه للزوج، وتربيه للأولاد، وحفظا للأموال والأعراض، إنها عبارة موجزة تحمل في طياتها كثيرا كثيرا مما لا يخفي على أحد ممن له قلب، وهناك رواية أخرى لهذا الحديث فصلت فيها

ما أجمل هنا، فقالت : " حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابا، وربينا لكم أولادكم"[١].

ثم تأتي الغاية والهدف من الحوار، وتكشف عنه بعبارة موجزة فتقول متسائلة :"فما لنا من ذلك ؟" فبعد ذكرها لما تقوم به النساء، وما يناله الرجال من الأجر جاء دور الحق الغائب، فسألت عنه في رقي ووقار وبلاغة واقتدار، مما أثار إعجاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ببلاغتها، فقال كما في الرواية الأخري " فالتفت – صلى الله عليه وسلم – إلي أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه ؟"

إن كانت تلك المحاورة البليغة قد أبانت في قولها عما تريده من الحق والإنصاف ولكل من أوفدتها من النساء، فما هو الحق التي تسعى لنيله، والذي جاءت النبي صلى الله عليه وسلم لأجله ؟

هل تريد التحرر من أوامر الله والتبجح علي شرعه؟

أم تريد التفلت من التكاليف والواجبات ؟

أم تسعى إلي التبرج والسفور ؟

أم تريد المناصب والمال والعطاء الزائل ؟

أم تريد انتزاع القوامة من الرجل ؟

---

[١]من حديث أخرجه الإمام البيهقى من شعب الإيمان ، باب حقوق الأولاد والأهلين ٦/٤٢٠_٤٢١ رقم ٨٧٤٣ .

إلي غير ذلك من تلك الصيحات الغاشمة التي تسعي إليها أصوات النساء في زماننا، واللائي يزعمن أنهن يدافعن عن حقوق المرأة، فلتأت تلك المدافعات، ويقرعن آذانهن بتلك العبارة الواحدة التي طالبت فيها وافدة النساء بحقهن "فما لنا من الأجر ؟؟؟؟!!

إنها المرأة المؤمنة بحق، لم تسع للدنيا وحظوظ النفس، ولم تنافس الرجل على قيادة أو زعامة ،بل تنافسه على أجرها عند الله، ومكانتها عنده "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ".

فهى تطالب حقها الذى أعطاها إياه خالقها ولا تريد سواه، ونصل إلى طرف المحاورة الثانى، إنه نبى الرحمة وهاديها ومعلمها، لقد استمع – صلى الله عليه وسلم – في إنصات لهذه المرأة، ولم يقطع عليها حديثها وفهم ما يجول في خاطرها، ويثير حفيظتها .

وكان حواره مرتبا وفقا لما جاءت به فبدأ بقوله– صلى الله عليه وسلم – "أبلغى من لقيت من النساء " فقد قدمت له نفسها بأنها وافدة النساء، لذا كان رده عليها معتبرا فية تلك الصفة، فالجواب ليس مختصا بها .

ولما رد عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (أبلغى) دون (أعلمى) أو غيرها، لدلالة الكلمة على المعنى المقصود، وقيامها به، وقد بدأ اللفظ بالهمزة المجهورة الشديدة لتناسب حال الجهر، وشدة الموقف، فالنفس لابد لها من الاطمئنان الدينى، والرضا بشرع الله في صفاء داخلى، ونقاء نفسى، "وللباء وقع في الكلمة، ذلك الصوت الانفجارى الشديد الذى يحرك الوترين الصوتيين ويحبس الهواء عند الشفتين ثم تنفرجا فجأة فيسمع، لا شك أن هذا ما حدث في المعنى القائم، فالنبي (صلى الله عليه

وسلم) أراد أن لا يتقوقع الموقف ويقف عند ذلك الحد، فأرشد بحديث يفجر الموقف، وينشره للأمة، فيتحرك الأمر في النساء، ويحبس العبوس بين المسلمين، فتنفرج أسارير المحبة، ويسود اللطف بينهم "[١] .

كما أخبرت بأن السؤال ليس كذالك، ويستمر حواره مجيبا عن تساؤلها، فيقول مؤكدا "إن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك ".

بتلك الجملة المؤكدة تعطى للمرأة حقوقها الغافلة عن قيمتها، كما غفل عنها دعاة حقوق المرأة وتحريرها متغافلين عن ذلك الدور الكبير للمرأة في بيتها، ذلك الدور الذى لو لم تقم به لضاع المجتمع وتفككت أركانه، لذا سماها المولى عز وجل "سكنا"، فقال : { لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا }[٢]، فإذا انعدم السكن فأين يسكن الرجل؟ وأين يأوى؟، ولكن لما عطف النبي – صلى الله عليه وسلم – "اعترافا بحقه" على قوله "طاعة الزوج" أليس في الطاعة ما يكفي ؟؟، بل إن الطاعة قد تكون لدافع من خوف أو بطش أو احتياج، أو ربما كانت لعادة فرضتها الأعراف، والتقاليد المجتمعية، أما الاعتراف بالحق فلا يكون إلا بدافع من رضا وحب ورحابة صدر، وهذا ما أشار له النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث سبق وأن أشرت إليه.

وقد يتبادر إلي ذهن كثير من النساء أنهن يفعلن ذلك، ويقل الخطب لديهن، جاء النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك الاحتراس لينبه النساء إلي ضرورة الانتباه لتلك المنقصة في حقوق الزوجية فقال : "وقليل منكن

---

[١] المطابقة التجويدية للمعانى القرآنية فى سورة عبس، د/منال السيد مصباح ١٥٠٢، مجلة المؤتمر العلمى الدولى الخامس لكلية اللغة العربية بالزقازيق .

[٢] الروم من الآية ٢١ .

من يفعله، " فذلك الأمر اليسير لا يقم به إلا القليل، والقليل دائما هم من يأتون بالخير " وقليل من عبادي الشكور".

لقد حمل هذا الحوار في نهايته بشارة لأسماء بنت السكن تحملها إلي من أوفدنها من النساء بل إلي كل امرأة بعدها، وفي زماننا، وإلي قيام الساعة " أن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك "، مشيرا بذلك إلى كل ما ذكرته وما لم تذكره مما اختص به الرجال في الأجر، وهذا من عظيم رعاية الإسلام للمرأة، فهو لم يطالبها بأعمال شاقة تخالف طبيعتها الرقيقة، واكتفي بما تقوم به من رعاية لبيتها وزوجها وأولادها فكرمها، وأعطاها عليه أجرا يعادل ما للرجل من أجر علي أشق الأعمال وأصعبها، فأجزل لها الأجر والثواب وهي ساكنه في بيتها، عابدة ربها، مراعية حق زوجها، فليصمت أعداء المرأة، وأصحاب الأفكار المضللة، والطرق المنحرفة من التمرد علي شرع الله مرتدين في ذلك أقنعة حقوق المرأة، فقد ألقمهم نبينا الحبيب حجرا، ولقنهم درسا غصت به حلوقهم .

عليك صلوات ربي وسلامه يا هادي الناس ومخرجهم من الظلمات إلي النور.

الحديث الثاني

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ عَنْ ابْنِ قُسَيْطٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عُرْوَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ : فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ ؟؟ أَغِرْتِ ؟ فَقُلْتُ : وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ ؟؟فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ ؟؟قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ : وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟؟ قَالَ :نَعَمْ، قُلْتُ : وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟؟قَالَ : نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ"[(١)].

بين يدى الحديث :

المرأة هى المرأة، لها من الطبائع التى جبلت عليها مالا يتغير أبدا ، فتلك هى أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – ، افتقدت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –في ليلتها فتملكتها الغيرة، وخشيت أن يكون قد تركها لبعض زوجاته، فكيف تعامل النبي– صلى الله عليه وسلم –مع هذه الغريزة الأنثوية الأصيلة ؟؟ كيف وجه زوجته الأثيره لديه لتقتدى بها نساء الأمة ويعالجن ذلك الشعور؟؟ أو على الأقل يعرفن الداعى إليه، والمحرك الداخلى لهن، فتستقيم الحياة وتستقر الأسر المسلمة برقى الزوجات المسلمات .

[(١)]صحيح مسلم (كتاب :صفة القيامة والجنة والنار/باب : تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ،وأن مع كل إنسان قرين) رقم (٢٨١٥) .

بلاغة الحوار :

لقد عالج الحوار مشاعر تلك الزوجة التى تخشى أن يكون هناك شخص آخر قد نافسها في الحصول على حب زوجها، أو أخذ منها ما هو حق لها، وكثيرا ما تعانى الزوجة بعض الأحاسيس التى تتسبب في ألمها النفسى وانتزاع الأمان منها، ويظهر ذلك جليا في تصرفاتها، فإذا وجدت تلك المشاعر والأحاسيس من يفطن إليها ويراعيها ويداوي أسبابها خفف ذلك من وطأتها، وقد يدعوها ذلك لتصحيح مسارها، مما يعد تنفيسا وتخفيفا عما يجيش به صدرها وتحبسه داخل نفسها، حتى لا تلحق بها أضرارا جمة، وهذا هو المبدأ الذى تعامل به النبي – صلى الله عليه وسلم –مع السيدة عائشه في معالجته لهذا السلوك، وهو مبدأ تربوى تعليمى نبوى نحتاج إليه كثيرا في واقعنا وأيامنا .

أول ما يطالعنا في هذا الحديث قول عائشة – رضي الله عنها– " فغرت عليه "، حيث اقترنت الجملة بالفاء مما يدل علي سرعة هذا الشعور وسريان الغيرة بداخلها فور خروجه – صلى الله عليه وسلم – من غرفتها، فضلا عما أفاده تعدى الفعل "غرت" بالجار والمجرور"عليه" مما يكسب غيرتها شرفا وتعظيما، فهى غيرة على أشرف الخلق وأكرم الأزواج وأطهرهم، وهذا ما أكدته بعد ذلك في جوابها على استفهامه– صلى الله عليه وسلم – ولم يترك النبي– صلى الله عليه وسلم –زوجته الأثيرة لديه في هذه المشاعر الملتهبة بل سرعان ما فطن لذلك " فرأى ما أصنع " وتعبيرها بالفعل " رأى" أبرز لنا مدى وضوح صنع السيدة عائشة حتى ظهر مرئيا على وجهها، كما أبرز لنا فطنة النبي– صلى الله عليه وسلم – وفهمه السريع لتصرف زوجته، وإن لم تبح له بتلك المشاعر، فلم يعنفها

على صنيعها بل عالج الأمر بأسلوب تربوى متخذا من الحوار وسيلة للتوجيه .

فبادرها – صلى الله عليه وسلم – بسؤال محاورا إياها فقال :" مالك يا عائشة ؟ أغرت؟ " متعجبا من هذه التصرفات الظاهرة عليها، وهو أسلوب يعكس سمو أخلاقه ، ورقى تعامله ،وحرصه الشديد على مشاعر زوجته، واستهلال حواره – صلى الله عليه وسلم – بسؤاله عن ما أصاب عائشة يوحى بأن حرصه الأول هو الاطمئنان عليها، ويؤكد هذا نداءه – صلى الله عليه وسلم –لها باسمها " يا عائشة" إشعارا بالحب والحرص والتودد، وهذا دأبه– صلى الله عليه وسلم – في حواراته معها– رضى الله عنها – وكان للتعبير بالاستفهام أعظم الأثر في مراعاة الجانب الإنسانى للسيدة عائشة، حيث تفادى به وصفها بالغيرة، فلم يقل لها:أنت "غيرى أو غيور" أسلوب خبرى مباشر، ولكنه لجأ إلى سؤال مفاده تصديق نسبة وقوع الغيرة منها من عدمه.

وعلى وجازة تلك الجملة " أغرت " إلا أنها تحمل من البلاغة العالية والمعانى الباهرة كثيرا، حيث لخصت لنا الموقف الذى انكشف للنبى – صلى الله عليه وسلم –وبدت أماراته على السيدة عائشة رضى الله عنها .

ولما كانت الجملة الثانية " أغرت " توضيحا وبيانا لما قبلها " مالك يا عائشة ؟ "ترك العطف بينهما فكلتا الجملتين أبانت عن قراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لما يجول بداخل السيدة عائشة، وتبدو على قسمات وجهها أماراته، فضلا عن أن تصرفات السيدة عائشة كانت وثيقة الصلة بالغيرة، كتلك الصلة بين الجملتين المعبر بهما عن الموقف.

وقد عدلت السيدة عائشة رضي الله عنها في جواب الإثبات عن لفظ الخبر (نعم غرت) إلى الاستفهام"ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟"، تصعيدا للإثبات، وتقريره بوجه برهاني، لتثبت للنبي (صلى الله عليه وسلم) وتبين وتؤكد له مدى حبها له، وهو أحق بهذا الحب، فهو نبي الأمة، وهي أم المؤمنين، فتضمن الجواب بالاستفهام مدحا وحبا وتعظيما لن يكون في الجواب بالنفي أو الإثبات، فكان جواب الاستفهام بالاستفهام أبلغ.

ومنه أيضا تظهر صورة تلك الزوجة الواثقة في نفسها، وفي حب زوجها لها فقالت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك ؟؟ فهو تعليل لسؤال النبي – صلى الله عليه وسلم – عند ثبوت نسبة الغيرة إليها "غرت "، ومن خلال تلك المقابلة أبانت السيدة عائشة عن ذكاء وفصاحة لا نظير لهما، وكيف لا وهى من تربت في بيت الصديق ثم انتقلت إلى كنف أفصح العرب وسيد البلغاء .

وكانت الكناية عن نسبة الغيرة إليها، ونسبة وقوعها على النبي – صلى الله عليه وسلم – أوضح طرق البيان، تعليلا لوقوع الغيرة ممن كانت في درجتها من الجمال والحظوة بالزواج من سيد الخلق جديرة بأن تغار، فهى أولى بالغيرة، ومن كان مثل النبي – صلى الله عليه وسلم – _ وليس له مثل_ في هذه المكانة العالية والدرجة العظيمة جدير بأن يغار عليه، فهو أولى بالغيرة عليه من غيره .

لتنظر النساء الى هذا الرد الرئع من تلك الزوجة المحبة التى ابتليت بما ابتليت به جميع النساء من مشاعر الغيرة، إلا أنها حولت هذا الشعور الذى كثيرا ما كان سببا في إنهاء العلاقات الزوجية،حولته إلى دعم ورابطة للعلاقة الزوجية، تزداد به حبا وقربا ودلالا وأنسا، ويسترسل النبي

في محاوراته لزوجته الحبيبة متبعا نفس طريق المحاورة السابق بعدما أقرت بغيرتها فيقول مستفهما "أو جاءك شيطانك" ؟؟ مبينا العلة الحقيقية للغيرة، بخلاف ما ذكرته السيدة عائشة، مستفهما بالهمزة الداخلة على حرف التحقيق .

وقد جاءت الجملة مؤكدة مراعاة لحال المخاطب المتوقعة فضلا عن قيمة هذه الفائدة الجليلة الخافية على كثيرمن الناس، وهى التنبيه على أن لكل إنسان شيطانا يجرى منه مجرى الدم من العروق، فقوة التأكيد مناسبة لقوة المعنى الدال عليه، وتتجلى بلاغة الجملة الاستفهامية "أو قد جاءك شيطانك ؟" في نسبة هذا السلوك إلى الشيطان، وكأنه يبعد بالسيدة عائشة أن يكون هذا نابع من داخلها، ولكنه تحريك شيطانى محض، وكان لاستخدام لفظ (جاء) دون (أتى) مثلا دلالة على شدة الأمر المجئ، فمجئ الشيطان ونفثه في المؤمن، وإلقاء القلاقل والغيرة بداخله أمر فيه صعوبة في المجئ، وفي النتائج الناتجة عن ذلك، كما يوحى بصعوبة ذلك على نفس السيدة عائشة – رضى الله عنها، وهذا ما أشارت إليه في سؤالها التالى حيث قالت متعجبة :يا رسول الله أو معى شيطان ؟ ونداؤها للنبى – صلى الله عليه وسلم – برسول الله استحضارا لصفته واختصاصه بعلم من الله لا يعلمه أحد ومنه ما أخبرها به ولم يكن لديها علم سابق به.

وفي تتابع الاستفهام في الحديث الشريف دلالة تبين منزلة هذا الأسلوب ومكانته من الأساليب الأخرى، فهو قائم بالإقناع والتقرير والتوكيد للمعنى، وثبوته في عقل السامع، ورسوخه في ذهنه، فهو أبلغ في موضعه.

وفي هدوء المعلم وحلمه يجيبها النبي– صلى الله عليه وسلم – بقوله:" نعم " موجزا عبارته مما أثار تساؤلا آخر، فيالها من جلسه علمية رائعة يدور الحوار فيها بين البشير النذير هادى الناس ومعلمهم وبين السيدة عائشة، التي لا تترك أمرا إلا وتسأل عنه، ولا تكتفي بجواب إلا وانتقلت منه إلى سؤال آخر لتصل إلي الحقيقة الكاملة التي تستقر بها نفسها، وكأنها لا تطلب لنفسها وحسب، بل تطلب لسائر النساء، بل للأمة بأكملها، إنها تدرك الدور الذى عليها أن تقوم به، وتدرك قيمة أن تكون زوجة لنبى الله – صلى الله عليه وسلم –، فكل ما تتلقاه منه هو وحي إلهى، وتعليم ربانى، فالكنز بين يديها وعليها أن تنهل من الفيوضات الربانية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا لخدمة دينها وأمتها.

ويستمر الحوار وتسأل السيدة عائشة قائلة :"ومع كل إنسان " ؟ ربما أرادت أن تطمئن على سلامة موقفها بإشراك الجميع معها في هذا الأمر، فكان سؤالها بلفظ العموم، ولما كان الجواب ب "نعم " ثارت شهية المعرفة لديها إلى ما هو أكثر من هذا، فقالت بصوت يستشعر منه الحياء والإجلال " ومعك يا رسول الله ؟ " إنها تريد أن تستوفي القضية من جميع جوانبها، فعلمت أن معها شيطانا بل ومع كل إنسان، وهى ترى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بخلاف هؤلاء، فأرادت أن تستيقن من هذا الأمر، فالعلم لا يؤخذ بالظن بل باليقين، لذا كان سؤالها .

وكان لحذف المبتدأ من جملة الاستفهام " ومعك يا رسول الله ؟" دلالة على تحاشيها ذكر لفظ الشيطان مع ذكر لفظ الرسول – صلى الله عليه وسلم – فضلا عن بلاغة الحذف عند العلم بالمحذوف، فالحذف نمط من أنماط التعبير العالى في الكلام، ونراه كذلك بجلاء في جواب النبي – صلى

الله عليه وسلم – عن الأسئلة الثلاثة الأخيرة بقوله "نعم "، فلم يذكر جملة الجواب بأكملها لدلالة السياق عليها، ولثقته في فطنة مستمعه، ولكنه أضاف لإجابته الأخيرة ما يوضح الأمر لغرابته فقال مستدركا " ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم " .

يالها من عبارة تحمل بين طياتها جوابا لكل تساؤل قد يجول في خاطر من يسمع الجواب ب"نعم"، وتتجلى روعة هذه العبارة، ودقة بيانها في اختيار اسم الله تعالى "ربى" دون غيره من أسمائه تعالى، لدلالة هذا الاسم على الحنو والرفق، والتربية والعناية والتدبير من الله لحبيبه ونبيه، فضلا عن إضافة لفظ الرب إلى ضمير نفسه، وتآزر مع هذا المعنى التعبير بلفظ "أعاننى"، وما يوحى به هذا اللفظ من جهد ومشقة يتناسبان مع مغالبة الشيطان ووسوسته، والتخلص من إغرائه وغوايته، فالبشر يميلون إلى التزيين والسهولة، وهذان البابان هما أهم منافذ الشيطان إلى الإنسان، لذا كانت النفس في حاجة إلى من يعينها ويشد على يديها، ليخلصها من هذا الأمر الشاق، ولا يعين في هذا إلا الله .

وفي لفظ (أعاننى) "دلالة خاصة، توحى بانتصار بعد مجاهدة وعناء، تمثل هذه الدلالة أصوات الكلمة، وكلها مجهورة كحياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فهو القدوة في سره وجهره، فسره مجهور، وجهره مجهور، حتى يقتدى به، ويسار على نهجه، في السر والعلن، في ظاهر أموره وبواطنها، فقام اللفظ بالمعنى وناسبه"[١].

---

[١]بلاغة الأثر الصوتى فى الفكر المقاصدى " حادثة الإفك فى سورة النور أنموذجا"، د/ منال السيد مصباح ، ٤٠ .

وبنيت الجملة على الاختصاص بتقديم المسند إليه "ربى"، فالعون منه سبحانه دون سواه .

واستمر العون الربانى إلى أن جاءت نتيجته بأن أسلم ذلك الشيطان، وهذا ما عبر عنه البيان النبوي بقوله " حتى أسلم".

ولكن ماذا في تعليم الرسول لنا أن كل إنسان معه قرين من الشياطين، أهى دعوة لالتماس الأعذار ؟؟ وبأننا غير مسؤلين عن أفعالنا ما دامت هناك شياطين تقوم بالوسوسة ؟

كلا إنها دعوة إلى اليقظة والانتباه، وشدة الحرص والحذر، ومجاهدة النفس، وكبح شهواتها، فالنفس المؤمنة إذا علمت أن بداخلها شيطانا ينازعها الخير نازعته بقوة إيمانها، وردت عليه غوايته، واستعاذت بالله منه، واستعانت بالله وبتقواها عليه، أعاذنا الله وأمة محمد من كيد كل شيطان رجيم .

****

الحديث الثالث

حديث قضية هند

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَخَلَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ لَا يُعْطِينِي مِنْ النَّفَقَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ"[١]

بين يدى الحديث

لقد ألزم الإسلام الزوج بالإنفاق على زوجته وأولاده، ذلك من القوامة التى جعلت للرجال على النساء، فلما قصر أبو سفيان في نفقة زوجته وأولاده، ذهبت زوجته للنبى– صلى الله عليه وسلم – تسأله فيما تفعله من أخذها من ماله بدون علمه، فقدم لها النبي حلا لتلك المشكلة وهو أن تأخذ من ماله شريطة أن لا يتعدى ذلك كفايتها .بلاغة الحوار :

لقد استهلت زوجة أبى سفيان حديثها ببراعة وذكاء فقالت : " إن أبا سفيان رجل شحيح" ،

فتلك هى الجملة المحورية والعبارة الأم التى بنى عليها الحوار بأكمله، لذا جاءت جملتها مؤكدة بأكثر من مؤكد، ثم جاءت بتوضيح لذلك

---

[١]أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الأقضية، باب : قضية هند ٣/ ١٧٥ ، رقم : ١٧١٤ .

الإبهام فقالت بجملة قصر" لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفي بنى "، إنها هند بنت عتبة من علية القوم، وزوجة أبى سفيان بن حرب من وجهاء قريش، فوضعها بين قومها يحتم أن تظهر بمظهر لائق، وأن تنفق ما يضمن لها معيشة أمثالها، وصفة البخل من أسوأ الصفات التى لا تتحملها النساء، فلو لم يكن لهند مخرج من هذه المشكلة لكان لكلامها وقع مختلف .

وقد عبرت بقولها "شحيح" دون بخيل أوغيره لتناسب المعنى القائم، فاللفظ ذكر فيه صوت الشين وهى للتفشى، وقد ناسب حال أبى سفيان الذى تفشى شحه في أسرته وبنيه، فلم يبخل على نفسه فقط، وإنما انتشر أمره، وتفشى في غيره فآذاهم، كما أن(الشين و الحاء) لفظان منفتحان، لائقان بالمعنى، ويؤكدانه، بانفتاح البخل والشح على غيره، ولتكرير الحاء إيحاء، فهى مهموسة، كما تهمس نفس أبى سفيان له بأن هذا هو الأصوب والأنفع لبيته، وبتقتيره عليهم يزيدهم عزا، والحق أنه يمنعهم من خير الدنيا وعز أبيهم .

ومجئ هند إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يكن ليجد لها حلا في شح زوجها، فهى قد أوجدت هذا الحل بأن أخذت من ماله دون علمه، ولكنها تسأل عن مدى مشروعية ذلك، فقالت مستفهمة فهل على في ذلك من جناح ؟ و كان لتقديمها ضمير نفسها "على " ما يدل على شدة حرصها على بعدها مما يغضب الله، فهى تبحث عن براءة نفسها من كل ذنب، كما أشارت لما تقوم به باسم الإشارة الموضوع للبعيد "ذلك" خوفا من إعادة ذكر الفعل مرة أخرى، وجاء رد المعلم والمربي ليضع

تشريعا نبويا تسير عليه نساء الأمة في كل زمان ومكان، فقال لها (صلى الله عليه وسلم)"خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك ".

لابد وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان متيقنا من صدق هند في خبرها، لذا بادر بتقديم الجواب والأمر في قوله (صلى الله عليه وسلم) :" خذي " قصد منه الإباحة، ولكنها ليست إباحة مطلقة، بل قيدها بقولة : "بالمعروف"، والمراد به القدر الذي عرف بالعادة انه يكفي، وحدد لها في الإباحة ما حددته في السؤال فقال: " ما يكفيك ويكفي بنيك ".

ولما كان النفي في أول الحديث موجها إلى ما يكفيها ويكفي بنيها لا إلى العطاء مطلقا، جاءت الإباحة أيضا في الكفاية وليس العطاء، وهند بنت عتبة كأي أم لا تطلب شيئا لنفسها إلا وطلبته لأبنائها، فهم موضع عنايتها، ومحل رعايتها واهتمامها، لذا لم يغفل النبي (صلى الله عليه وسلم)في جوابه عن مواطن اهتمامها، وأباح لها أن تأخذ ما يكفيها ويكفي بنيها، وفي إعادة فعل (يكفي) في السؤال والجواب وإن كان قد سبق ذكره ما يغنى عن الإعادة لاختلاف حاجة الأم عن حاجة أبنائها، فضلا عما يوحي به الذكر من التأكيد علي موجب الحاجة .

كذا أعاد (صلى الله عليه وسلم) لفظ "من ماله " مع سبق ذكره في السؤال لاختصاص المال دون غيره من الممتلكات بإمكانية الأخذ منه دون علم الزوج، فلا يمكنها أخذ منقولات أو مواشي أو أغنام مثلا .

وتتجلي بلاغة الحوار النبوي الكريم علي الرغم من وجازته ـ إلا أننا نلمح منه كل معاني التعليم والتربية والتوجيه ـ في إعادة النبي(صلى الله عليه وسلم) في إباحته لكل ألفاظ السؤال الذى طرحته السائلة من قولها " أخذت، من ماله، يكفينى، يكفي بنى"، إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) أسقط

قولها " بغير علمه"، فلم يكرره في إباحته لها، وكأنه (صلى الله عليه وسلم) أباح لها الأخذ، وحده بحدود العرف والكفاية، إلا أنه أبى أن يفصح أو يصرح بمخالفة الزوجة لزوجها، حتي يظل الأمر في دائرة محددة، وفي حالات موجبة، فتبقي العلاقة الزوجية قائمة علي المكاشفة والوضوح المتبادلان، وحرص كل منهما علي الآخر في كل شؤون حياتهما، لتظل الأسرة المسلمة قائمة علي دعائم قوية تظللها المودة والرحمة ،وإيثار كل منهما لصاحبه .

لقد توفر لهذا الحديث كل ما يلزم للحوار البناء من خصائص ومزايا، فتبدو فيه احترام المحاور لمحاوره، وانتباهه لكلامه، والإصغاء إليه إلى أن ينتهى من كلامه .

كما يظهر بجلاء التزام الإنصاف في الحوار، ومن يكن منصفا إن لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فهذه هند بنت عتبه آكلة كبد عمه وحبيبه حمزة ـ رضى الله عنه ـ يوم أحد تجلس أمامه في سكينة واطمئنان، وتبثه شكواها من زوجها، فما كان منه (صلى الله عليه وسلم) إلا أن ينصفها، ويقدم لها ما تطمئن به إلى سلامة نفسها وتفعل، بل ويرشدها إلي ضوابط ما تفعله حتي لا يقع عليها ذنب في هذا، ولم يوجد في حواره ما يشير من قريب أو بعيد إلى تأثره (صلى الله عليه وسلم) بما فعلته هند في الماضي، وكيف كانت من أشد أعداء الإسلام .

ومن مزايا المحاورة الجيدة نظر المحاور في جميع الوجوه التي تدل علي مطلوبه ،وأن لا يقتصر علي وجه دون آخر، وهذا ما ظهر بجلاء في حواره (ص) مع هند .

****

الخاتمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمد الشاكرين لنعمه، الذاكرين لفضله، ونصلى ونسلم علي خير خلقه، وأعظم رسله، من حمل الأمانة، وأدي الرسالة، وعلم الأمة فكان خير معلم، وأفضل مؤدب، وبعد

- فإن للعلماء في هذه الأمة رسالة مستلة من رسالة الأنبياء، ألا وهي إبلاغ العباد مراد الله تعالي منه، وما أبانه النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم، فيكشف لهم بلسان الحال ولسان المقال ما يحبه الله ورسوله لهم، وما يسخطه الله تعالي ورسوله، فالعلماء حملة العلم لأجل تحقيق هذا الهدف، وتلك الغاية، لذا كانوا ورثة الأنبياء، لذا جمعت في بحثي هذا بعض الوسائل التربوية التي جاءت في منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) في تعليمه للمرأة، لأضعها بين يدي العلماء والمربين في مجتمعنا، بل لأضعها نصب عيني أولا فأتلمسها، وأسير وفق خطاها، وأحتذي بها في تعليمي لأبنائي، ومن أبرز ما اهتديت إليه خلال دراساتي وتطوافي حول تلك الوسائل الهادية، وذلك المنهج القويم : أن النبي(صلى الله عليه وسلم) رغم قدرته علي توجيه الكلام مباشرة، وأمره للمسلمين بالفعل والترك، لما كان له عليهم من حق السمع والطاعة ألا أنه كان يستخدم سبل الإقناع والتأثير في المسلمين من خلال أساليب تربوية متعددة تختلف باختلاف الأحوال والمقامات .
- لم يصدر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في إنكاره لفعل من الأفعال تعنيف أو تجريح أو تقريع، بل اتسم في توجيهه بالهدوء والرفق

مع حسن العبارة وقوتها، ولم يخرج عن دائرة التعليم والتوجيه والعتاب والتصحيح .

- كان النبي – صلى الله عليه وسلم – كثيرا ما يمهد لما يقوله من أخبار فيها وعيد أو ترهيب، ورأيناه يقدم الحل والخلاص من الوعيد قبل الإخبار به، كما جاء في حديثه للنساء " يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار "

- من أصول منهجه التعليمي – صلى الله عليه وسلم – مراعاته لنفسية المرأة قبل توجيه النصح لها، ولم يكن يبالي بما يلاقيه من صد أو غلظة أو جفاء في سبيل دعوته إلي الله وتعليمه لأمته، كما في حديث المرأة الثكلي التي فقدت ولدها عن أنس بن مالك – رضي الله عنهما – قال " مر النبي – صلى الله عليه وسلم – بامرأة تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري، قالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها : إنه النبي – صلى الله عليه وسلم – فأتت باب النبي– صلى الله عليه وسلم – فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك، فقال : " إنما الصبر عند الصدمة الأولي "

- كما راعي النبي – صلى الله عليه وسلم – مشاعر المرأة وطيب خاطرها وأدخل الأنس والطمأنينة علي قلبها كما في حديث أنس عن حميد ،قال : سمعت أنسا –رضي الله عنه – يقول : أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلي النبي –صلى الله عليه وسلم – فقالت يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تك الأخري تري ما أصنع ؟، فقال : "ويحك أو هبلت، أو جنة واحدة هي ؟، إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس "

- كان الهدف الأسمي من تنوع الأساليب في الحديث النبوي الشريف هو إصلاح المجتمع ونشر الفضيلة وبث مكارم الأخلاق بين الناس، فلم يمنعه من تحقيق هذا الهدف أي عائق كما لم يمنع نساء المسلمين حياءهن من الوصول إلي تلك الغاية فكانت الغاية مشتركة بين المعلم المتعلم، فتحقق الهدف وقويت الأمة ووصفت ب " خير أمة أخرجت للناس"
- لقد أبرز منهج القرءان الكريم والسنة النبوية أن لكل حالة ما يناسبها من وسائل تعليمية في تلقيها لهذا المنهج الإلهي والنبوي، لذا تعددت هذه الأساليب واختلفت دلالتها وطرائق الإبانة عنها .
- إذا كانت هذه المناهج الربانية والوسائل النبوية موجهة إلي البشرية كلها، فإن للمرأة النصيب الأكبر والحظ الأوفر في التربية فهي نقطة الارتكاز وعمود الأسرة، التي إن صلحت صلح المجتمع بصلاحها، فمن خلال إعداد النبي – صلى الله عليه وسلم – للمرأة وتهيئتها لحمل أمانة صناعة الرجال، وتعهدهم بالرعاية والإصلاح نصنع مجتمعا صالحا .
- إن التربية الإسلامية المستقاة من المنهج النبوي في التوجيه والتعليم تعد هي المصدر الأساس لكل موجه ومعلم، وتغرس القيم والمثل العليا حول العنصر الفاعل، والقلب المهموم بالتربية فكل تربية لا يكون أساسها هذه العناصر لن تؤدي أهدافا تربوية ولا دينية .

****

توصيات البحث

١ ـ تناول أساليب المنهج النبوي في تعليم النبي (صلى الله عليه وسلم) لباقي أصناف المجتمع من رجال وصبية، وما فيها من أسرار بلاغية، وطرق إبانته لهذه الأساليب بما يقدم للمجتمع الدواء الشافي من كل أدواء التربية والسلوك القويم.

٢ـــ خدمة السنة النبوية المطهرة، واستجلاء أسرارها البلاغية، وأساليبها التربوية، والعمل علي إبرازها للقائمين بها في شتي الميادين وإحلالها بما يسمي بمناهج التربية الحديثة الوافدة إلينا من روافد لا نأمن غوائلها ولا أهدافها ممن يكيدون لأمتنا وبلادنا شرورا عدة .

٣ ـــ أن نطبق هذه المناهج بوسائلها المتعددة في حاضرنا ونهتدي بها في تعليمنا لنقدم جيلا يحمل لواء الحق عن إيمان ويقين بأخلاق مستقاة من أعظم منهج وأقوم دستور .

فهناك فرق كبير بين تعليم يبقي به الحال علي ما هو عليه، وتعليم يكون ريحا عاتية تقتلع الفساد والإفساد، وتغرس الصلاح والإصلاح .

المصادر والمراجع

١) أسلوب الاستدراج في القران الكريم ا.د / أحمد محمد طلحة ١٣٢٥هـ/٢٠٠٢م .

٢) أسلوب الحوار في الحديث النبوى "دراسة بلاغية د. خليل محمد أيوب، ط دار النوادر ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م .

٣) أصول التربية الإسلامية ا.دعبد الرحمن المحلاوى، ط دار الفكر العربى ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

٤) البداية والنهاية لابن كثير .

٥) بلاغة الأثر الصوتى في الفكر المقاصدى " حادثة الإفك في سورة النور أنموذجا"، د/ منال السيد مصباح

٦) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع دراسة في الصحيحين، /د ناصر راضى الزهرى إبراهيم ط/دار البصائر _القاهرة ١٤٤٩هـ /٢٠٠٨م .

٧) البلاغة العربية في ثوبها الجديد د. بكرى شيخ أمين، ط دار العلم ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢ م .

٨) التعريض في القرءان الكريم د إبراهيم محمد عبد الله الخولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٩) جواب الاستفهام بالاستفهام دراسة بلاغية في الصحيحين، رسالة دكتوراة للباحثة أسماء ريحان بيومى، من كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨ م .

١٠)خصائص البلاغة النبوية في الحديث عن ذوى القربى أيمن محمد عبد الله السيد رسالة دكتوراة تميز منشوره في كلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر ٢٠٠٩م.

١١) دراسات نافذة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام نتيجة عمر الحلوانى

١٢) دلالات التراكيب دراسة بلاغية د .محمد محمد أبو موسى طه ٤ مكتبة وهبة القاهرة ١٤٢٩/٢٠٠٨ م .

١٣) السمات البلاغية في بيان النبوة د صباح عهيد دراز مكتبة وهبة ١٤٣٥ .

١٤) سنة النسائى المجنى من السنة الكبرى أحمد بن محمد بن شعيب النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى ط المكتبة التجارية .

١٥) السنة بيانا للقرءان د إبراهيم الخولى ط٢ ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٦) شرح صحيح البخارى لابن بطال تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

١٧) شرح عقود الجمان في علم المعانى والبيان للإمام جلال الدين السيوطى "ت" محمد عثمان _المكتبة الأزهرية للتراث _القاهرة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .

١٨)صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابورى ط دار الحديث تحقيق الدكتور محمد فؤاد عبد الباقى ١٤٣١ هـ . / ٢٠١٠ م، ط٢ مكتبة الرشد/ السعودية الرياض ١٤٢٣ / ٢٠٠٣ م .

١٩) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى دار نصر للطباعة الطابعة الأولى ١٤٢١ هـ /٢٠٠١م ت محمد فؤاد عبد الباقى

٢٠) القاموس المحيط للفيروز أبادى .

٢١) القيم التربوية قبس من أخلاق السيدة عائشة د فاطمة فوزى دار الكتاب الحديث ١٤٣٤ / ٢٠١٢ م .

٢٢) الكلمة نور د/ محمود توفيق محمد سعد محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم د/ محمد أبو موسي مكتبة ..... ١٤٣٨هـ /٢٠١٧م .

٢٣) لسان العرب لابن منظور _دارصادر بيروت ط ١٩٩٧ .

٢٣) المطابقة التجويدية للمعانى القرآنية في سورة عبس، د/منال السيد مصباح مجلة المؤتمر العلمى الدولى الخامس لكلية اللغة العربية بالزقازيق .

٢٤) معانى التراكيب دراسة تحليلية في علم المعانى د عبد الفتاح لاشين دار الكتاب الجامعى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م .

٢٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون مطبعة مصطفي البابلى الحلبى ط٢ ١٣٨٩ هـ /١٩٦٩ م .

٢٦) مفتاح العلوم للسكاكى ت نعيم زرزور ط دار الكتب العلمية بيروت .

٢٧) ملامح المنهج التربوى عن أهل النبي

٢٨) المنهج العلمى للرسول (صلى الله عليه وسلم) في تبليغ رسالته للأمة، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع، رسالة دكتوراه في الحديث وعلومه،

للباحثة فاطمة محمد محمد عابد، من كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، ١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥م .

٢٩) نساء في صحبة النبي أ / سهيلة الحسينى ناشر مركز الإعلام العربى ط١ ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .

٣٠) نصائح للرسول للفتيانى محمد على قطب ط١ ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م دار الفكر العربى .

٣١) وسائل الاستنباط من الكتاب والسنة دراسة بلاغية د محمود توفيق محمد سعد مطبعة الأمانة ١٤٠٣ هـ / ١٤٩٢ م .